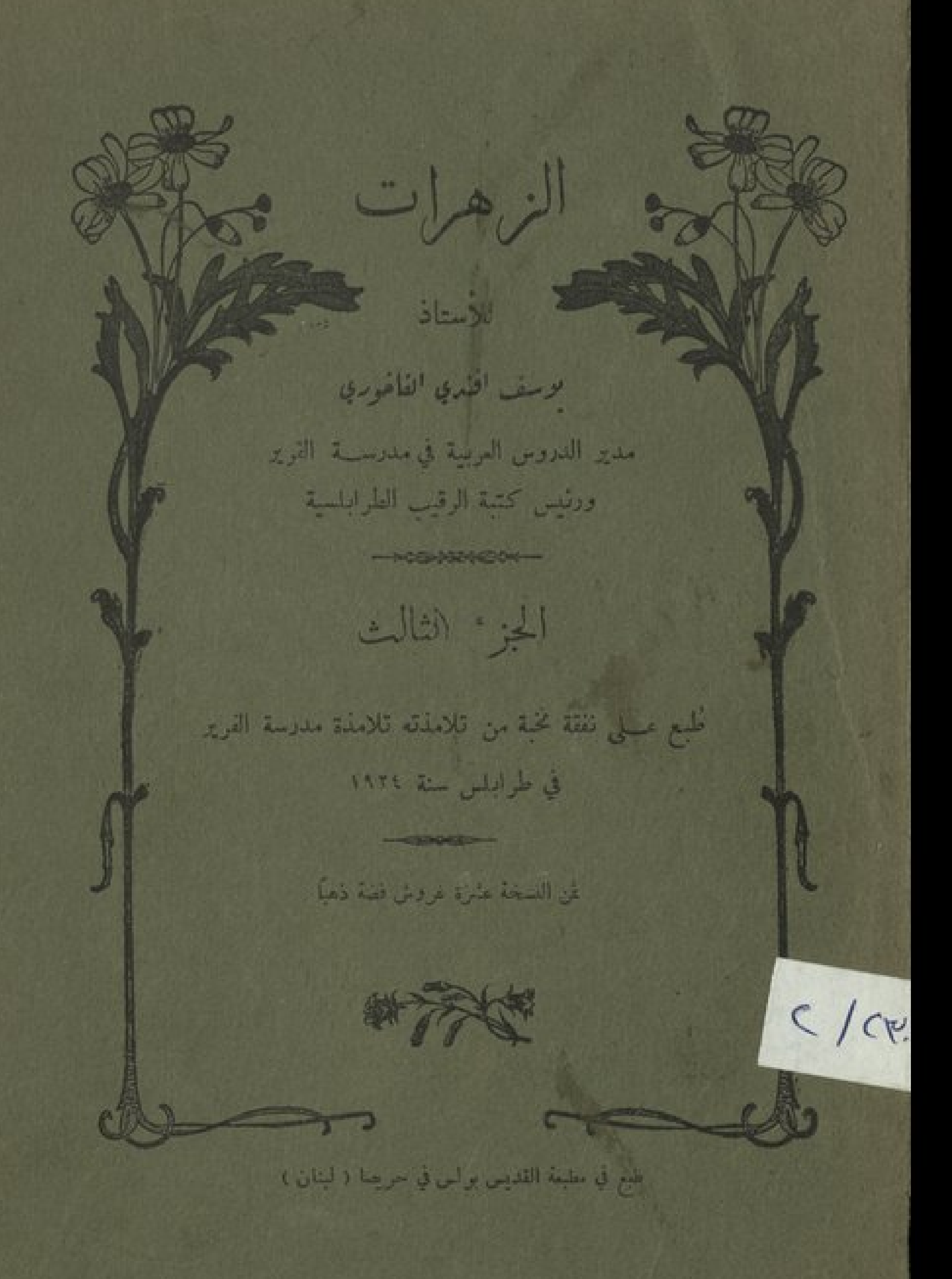


الزهرات

للأستاذ

يوسف افندي الفاخوري

مدير الدروس العربية في مدرسة الفرير
ورئيس كتبة الرقيب الطرابلسية

الجزء الثالث

طُبع على نفقة نخبة من تلامذته تلامذة مدرسة الفرير
في طرابلس سنة ١٩٢٤

ثمن النسخة عشرة غروش فضة ذهباً

طبع في مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

يطلب من المؤلف في مطرانية الموارنة طرابلس

		غرش سوري
الزهرات	(الجزء الاول)	٢٠
"	(الجزء الثاني)	٢٥
"	(الجزء الثالث)	٢٥

رواياته التمثيلية المدرسية

تطلب من ادارة مجلة المسرة في حريصا ومن المؤلف في طرابلس

		غرش سوري
رجاء ويأس	للصبيان	٢٥
جان هاشيت	للبنات	٢٠

تحت الطبع

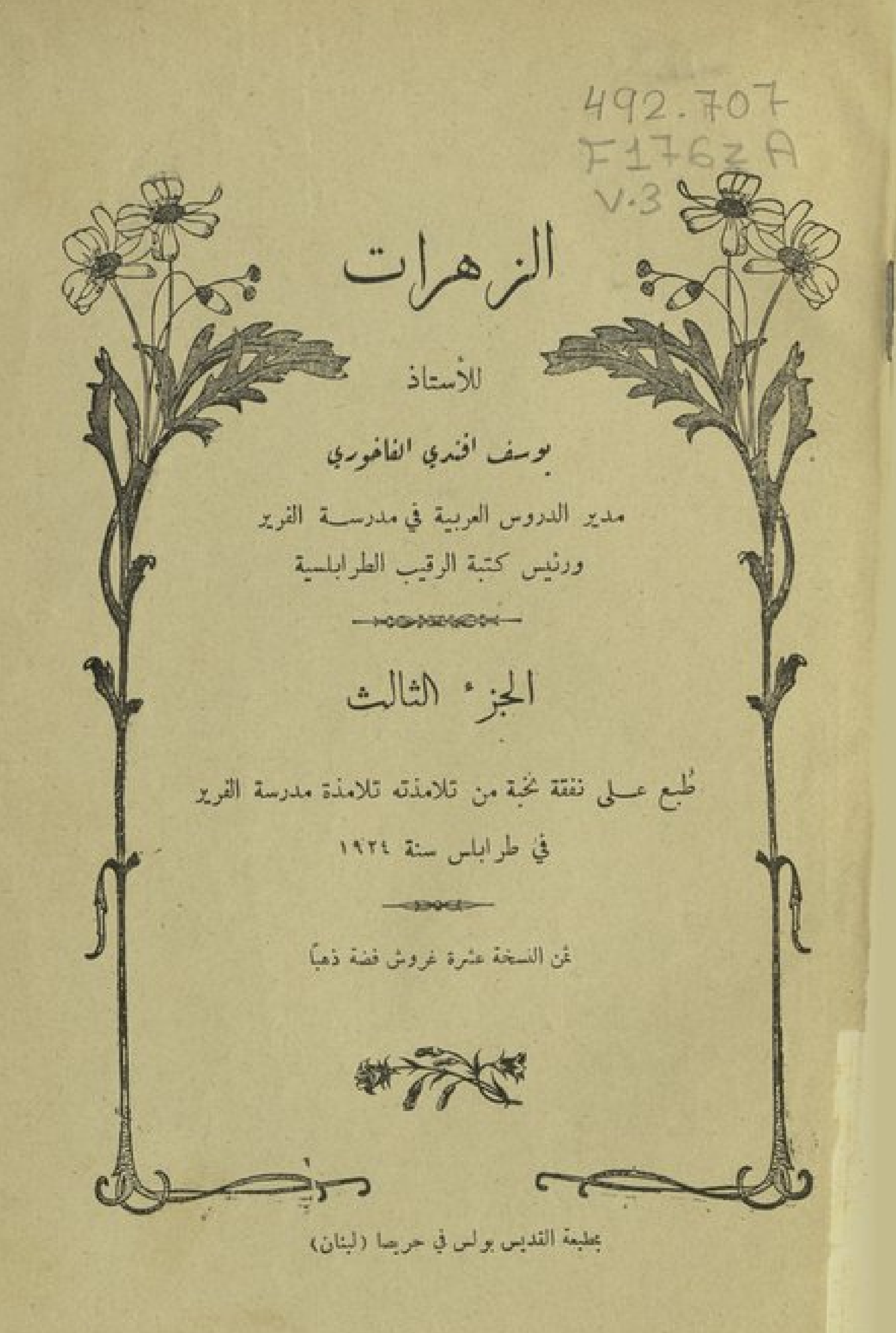
البرج الشمالي

انتصار الواجب والفضيلة



إني كَمَن عاشوا أموتُ وأنطوي عَيناً وتبقى صورَتي تتمثَّلُ
فأنا الخيالُ وتلك طَيفُ خيالِهِ أثرٌ سيتبعُ عَينَهُ فتأمَّلوا

هذا الرسم مأخوذٌ عن رسم مكبَّر اهداهُ اليه تلامذته فئة البيان واعضاء المحفلين الخطابي والنحوي في كلية القديس يوسف بمناسبة تذكار عيد شفيعه في ١٩ اذار سنة ١٩١٢



الزهرات

للأستاذ

يوسف افندي الفاخوري

مدير الدروس العربية في مدرسة الفرير
ورئيس كتبة الرقيب الطرابلسية

الجزء الثالث

طُبع على نفقة نخبة من تلامذته تلامذة مدرسة الفرير
في طرابلس سنة ١٩٢٤

ثمن النسخة عشرة غروش فضة ذهباً

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

المقدمة[1]

الزهرات

هي « زهرات » عطرة من رياض النظم والنثر
هي زنابق اخلاق وورود معرفة وحكمة
هي خزامى وبنفسج وياسمين
هي عطوز ذكية جادت بها قريحة استاذنا الفاضل يوسف افندي الفاخوري فقطفناها من روضة معارفه وجمعناها باقة جميلة نضمها الى اخواتها اللواتي تقدمنها ليمجدن جهاده الشريف وليزين صدر المآثر التي قام بها نحو البلاد بخدمته الادب وتعليم الناشئة الجديدة

من الناس من يخدمون الوطن بما يظهر علانية فيراهم

---

(١) بلسان تلامذته فئة الخطابة

المجموع ويمجدهم . ومنهم من يكتفون بخدمته في الخفاء فيحرقون
حبات اتعابهم وثمار جهادهم على مذبح المنفعة العامة مجاهدين
فقط لاجل الخدمة والواجب . واستاذنا الفاضل هو من اعضاء
هذه الفئة اي من الذين كرسوا حياتهم لهذا الجهاد الشريف
ولا طمع لهم الاّ بالحصول على تلك اللذة الداخلية التي يولدها
في النفوس الكبيرة حبُّ التضحية ورضى الضمير

انفق سنيه الماضية في التدريس وخدمة الادب في اشهر
مدارس بيروت كلية القديس يوسف والبطريركية . ولما شبت
نيران الحرب الكبرى قدم طرابلس وخصص نفسه بادارة المدرسة
التي اسسها اخوه الاب الورع خوري اسقفي ارسانيوس الفاخوري
صارفاً فيها اهتمامه مدة اربع سنوات لتعليم تلامذته الصغار
المبادئ العربية وغرسه في نفوسهم حبَّ الوطن واللغة . ثم عندما
رفعت الحرب اوزارها عيَّنه العلامة المفضال الاخ ليونس رئيس
مدرسة « الفرير » في طرابلس مديراً للدروس العربية واستاذاً
لفئة الخطابة فعكف على عمله بهمة لا تعرف الملل شأنه في كل
حياته الماضية . وهنا حيث اسعدنا الحظ بالانخراط في سلك
تلامذته تجلت لنا حقيقة نفسه بابهى المظاهر واجمل الحلل فرأينا
به مثال الجد والعمل والنزاهة والاخلاص . رأينا به ذلك الاستاذ
الغيور الذي يحب تلامذته حب الاب بنيه ويفرغ جهده في

تعليمهم ونجاحهم فكان يكافح العلة المعدية التي استحكمت في جسمه منذ خمس وعشرين سنة ونيف ويجد ليله ونهاره سعياً وراء هذه الغاية الشريفة مما حرك فينا عواطف الشكر ومعرفة الجميل واوقد في نفوسنا الرغبة في القيام نحو استاذنا بما يبرهن له عن حبنا وتقديرنا الفضل

وعليه فقد رأينا بطبع هذا الجزء الثالث من « زهراته » اجمل فرصة لتحقيق امنيتنا واتفقنا على ان نقوم بهذا العمل تقديراً لاتعابه وعربون شكر وولاء واخلاص . فطلبنا منه قبول اقتراحنا فابى اولاً دفعاً لما قد يتوهمه البعض من ان ما يبذله في سبيل تلامذته مرجعه الى المنفعة المادية . ولكنه لكثرة الحاحنا تكرم اخيراً بالقبول لئلا يضن علينا بتلك اللذة الداخلية التي تمتع بها تلامذته القدماء بقيامهم بهذا الواجب المقدس وطبعهم الجزئين الاولين على نفقتهم

***

فالى استاذنا الفاضل نسدي الآن شكرنا الصادق العميم . وبالسنة الاعجاب والحب والاحترام نحيي ذلك القلب الذي وعى اشرف العواطف وذلك المبدأ الحيّ مثال النبل والاستقامة وتلك النفس الكريمة العزيزة التي سطرت بمداد فضلها على صفحات

قلوبنا اجمل الاحرف واعذب الكلمات التي تبقى محفوظة ما بقي في هذه القلوب دمٌ يسري وعرق ينبض .

عيسى عرنوق
احد تلامذة فئة الخطابة

رأيت ايها الاعزاء من عواطفكم الصادقة ما احسبه عزاء وسلوى . وكأن العناية الالهية ابت الا ان تريني في هذا المعهد العلمي ما شاهدته في ـ كلية القديس يوسف ـ فناجت عواطفكم تلك العواطف وعليه فلا يسعني الا ان احيي فيكم عاطفة الولاء والوداد واقاسمكم الحب الحقيقي المقدس شاكراً لكم عملكم النبيل

هذا واني اهدي هذا الجزء الى معهدٍ عرفتكم فيه وصرح اصبح في مصاف المدارس العليا بعناية رئيسه الفاضل العالم :

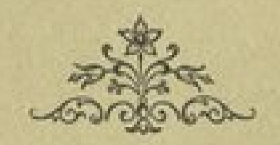
الاخ يونس اميل

وغيرة عمدته الاخوة الافاضل اساتذته الكرام وزملائي الاعزاء

اما الحب الذي القت بذوره في قلبي السنون التي قضيتها

معكم فأحتفظ به ما حييت سائلاً الله تعالى ان يوفق مسعاكم ويمهّد امامكم سبل الحياة لتكونوا من رجال الغد متحدين به عزّ وجلّ تربطكم رابطة الحب وشعاركم الدين والادب . . .

الفاخوري



وجوب

درس اللغة العربية

طلبها منه صاحب مجلة « المعارف » فنشرت في العدد الممتاز ١٩٢٢

سألنا رصيفنا الفاضل صاحب هذه المجلة الغراء ان نكتب كلمة في هذا العدد فلم يسعنا الا الاجابة ولم نوجه بحثنا الا الى موضوع مفيد للشبيبة ولم نحصره في شرف اللغة العربية وما نالته من المجد والعظمة وما امتاز به شعرها من قوة التركيب ورقة التعبير ودقة المعاني وما كان لها من الاهمية في الاعصر الخالية وما استغرقه ائمتها وخصوصاً النحاة من الوقت الطويل في ابحاثهم التي لا تحد لأنا نشرنا مقالات مطولة في هذا الموضوع في جريدتنا الرقيب ولانا نرمي الان الى مقصد يجب على كل صحفي ان يبحث فيه غير مرة : فافكار شبيبتنا منذ عشرين عاماً ونيف منصرفة عن الميل الى لغة بلادنا ولم نقل لغة جدودنا الاقدمين لئلا يقال لنا نحن شعوب متفرقة وليس اصلنا كلنا في انحاء لبنان وسوريا عرباً وان العربية لم تعم كل هذه الانحاء الا منذ نحو مئتي سنة الى غير ذلك مما فيه مجال للشك وان نرى براهين شتى يتمسك بها الذين يستسلمون بكل قواهم الى درس غير لغتنا مظهرين كل نفور منها على زعمهم انها ليست لغة حية

وليست تجارية ولا هي صناعية ولا تفيـد دارسها ثروة وهلم
جرا مما اوحاه الى عقول ابنائها التدخل بالبلاد الاوربية ومرآهم
تلك الثروة الوافرة التي نالها ابناؤها في هاتيك الاقطار بجدهم
وثباتهم وتعزيزهم لغات جدودهم ومعرفتهم ضيق اليد التي فيها
من قضوا اياهم في خدمتها وخلوهـا من العلوم والفنون : كل
هذه الامور حملتهم ان يستفيضوا في اميالهم فدرسوا اللغات
الاجنبية لاستفادتهم العلوم والفنون واذا لم يمكنا ان ننقض
براهينهم ونرد عليهم اقوالهم فلا بد من اظهارنا لهم وان كانوا
مصيبين في احكامهم انهم مخطئون ايضاً بتركهم لغة البلاد التي
هي جامعتنا الوحيـدة وهم مضطرون الى الاحتفاظ بها ولا
يسوغ تركها والاستغناء بسواها عنها بـل يجب ان يحكموا
معرفتهم أحكامها علمهم احكام سواها من اللغات الاجنبية
فنحن بحاجة الى التفاهم وانها لغتنا اليوم ولا نرضى الا ان تبقى
لغـة البلاد الرسمية ويجب المخاطبة والمفاوضة والمباحثة بها
والمدارس الاجنبية رأت ضرورة تدريسها فافرغت بعض ما في
وسعها لتعزيزها : والنفور منها لا يزال يزداد يوماً فيوماً ومبغضوها
لا يبرحون يحببون الى القلوب شناءتهم اياها ويزعمون انها صعبة
المنال بعيدة المرمى لا يمكن احد الاحاطة بها ولا يدركها العقل
مهما كان ذكياً ولا يتوصل الى فهم قواعدها ويعينون بعض
فصول منها يصورونها بهيئة مخيفة ويرونها التلامذة ولاول واهلة

والتأثير عامل في قلوبهم خوفاً يصدقون القول ويرون الهيئة لا بالنظر الحسي او العقلي المدرك بل الوهمي المؤثر في العقول تشبثاً سيئاً غير سديد فيبتعدون بل ينفرون ولا يأوون وربما يصدر هذا القول من افواه بعض الذين يدرّسونها على المنابر وهم لا يخشون اثماً وقد خانوا وطنهم بخيانتهم لغته . اراجيف يروجها ذوو المآرب بل الذين يعجزون عن ادراك شرفها وعن الوصول الى إحكامها والتضلع منها . ولقد يسوؤنا ان يدعي ابناء هذه السنين ان اللغة العربية صعب درس اصول فنونها لوعورة مسالك قواعدها وكأنهم سمعوا ما يقال عن اتساع نطاق متن لغتها وكثرت المذاهب واخبروا عن تلك المجلدات الضخمه فظنوا ان الكتب الصغيرة التي هي بين ايديهم لا تفيدهم وانها هي متشعبة الطرق فابوا ان يختبروا الامر بنفوسهم او ان الوهم الذي قيدهم ابى عليهم الا الاستعباد له فعزت عليهم التضحية . وان تيسر لهم فهم القاعدة وحفظها دون عناء ولا درس سرهم الامر ولذا نرى ان هؤلاء يخرجون من المدرسة ولا يحسنون احكام العبارة ولا يمكنهم ان يكتبوا رسالة خالية من الغلط او يقرؤوا سطرًا دون لحن او يعبروا عن فكر واحد بعبارة عربية متناسين انهم من قطر لغة قومه العربية والنفور منها برهان واضح ان لا امل لنا بالاتحاد ومعرفة الوطنية . ولئلا نختم هذه الرسالة التي لنا امل ان تفيد دون

ان نفتح مجالا للطلاب للوصول الى ما نرمي اليه نقول . يكفي
الطالب ان يذخر في السنين التي يمضيها في المدرسة لاحراز احدى
اللغات الاجنبية والعلوم ان يقتصر فقط على تمضية الوقت
المخصص للغته العربية وان يدرس كل يوم ما يعين له ويتم
فروضه باحكام ويستظهر الابيات التي يجب ان يشرحها فيشعر
انه احكم قواعد لغته بمساعدة تلك الكتب التي لا نقول انها
على السهولة التي يتمناها الطالب وانها خالية من الاغلاط وانها
حجة لكنها تعصم قلمه ولسانه من الخطإ في تأدية المراد ومن
شاء ان يتضلع من القواعد ومتن اللغة فليدرس على نفسه بعد
مغادرته المدرسة فالمطولات كثيرة . واذا راى التلامذة ان
المدرسة مجحفة بحقوق لغة البلاد فيجب ان يحتجوا ولا يخشوا
ولا يحسبن احد ان مقام الذين يبتعدون عن محبة اللغة ولا
يجلونها ارفع من الذين احبوها واغرموا بها وان كانوا في اسمى
المراكز فهم في عين الوطن والحق غير مبرين بفضل لغتهم ولا
وافين عهود ام . وانا في هذه البلاد مضطرون اليها وان لم
نكفل حياتها الى الابد فالى امد طويل تحيا عزيزة بالرغم عن
كل معارضة والبلاد مفتقرة اليها : وبعد هذا فموكول الامر
باحراز الفائدة التي توخيناها الى ما قلناه وعلى الله الاتكال

ابو العلاء المعري

بحث تاريخي فني القاه على اعضاء المحفل الخطابي تلامذته تلامذة كلية القديس يوسف وتباحثوا فيه في مجلس حافل وقرظته الجرائد البيروتية ونشرته احدى المجلات التي صدرت في بيروت سنة ١٩١١

١ً حياته ٢ً منزلته في فنون الادب واخصها في الشعر والنثر
٣ً تبرئته من الكفر

١

ترجمة حياته

هو ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي . ولد يوم الجمعة في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٦٣ هجرية في المعرة الموافقة سنة ٩٧٣ مسيحية واصابه مرض الجدري واشتدت وطأته عليه فعمي سنة سبع وستين وانه تخرج في اللغة والصرف والنحو على ابيه في المعرة التي كان قاطنها واليها نسبته ثم قرأ تلك الفنون على محمد بن عبدالله في حلب وهو ذو مكانة في النثر يريك سحراً حلالاً وله الرسائل المشهورة المخبرة كيف تسيل المعاني على حد التراكيب العربية البليغة رقة وعذوبة وتظهر مقدرته في فنون الادب وسعة اطلاعه في اللغة حتى لا يخاله القارئ الا من العرب العرباء وقد فاقهم في اساليبه الرقيقة ومعانيه الدقيقة مع سيره في طرق الاصول

دون العدول الى الجوازات الضعيفة . اما نظمه فهو في درجة رفيعة كافكاره السامية وقد سار في هذا الفن سيرًا يقصر عن الوصول اليه المتطالة اعناقهم . فتلك لزومياته التي اظهر فيها الحقائق تخيل للمطالع انها شعرية وهي امور حقيقية وله « ضوء السقط » جمعت فيه اقوال له في الدروع ولقد اجاد القول في وصف كل ماذيةٍ حتى لو ان شاعرًا سواه اجهد القريحة لما تجاوز العشرة الابيات في ذلك الموضوع وانها لقصائد مؤلفة من نحو خمسين او ستين بيتاً ولا شعر في احداها معادٌ معناه في آخر من غيرها وله « سقط الزند » جمع اجود ما نظم مدحاً ورثاء وفخرًا بمتانة ورقة وسلاسة وبلاغة و « الايك والغصون » مئة جزء وهو المعروف بالهمز والردف وكتاب « اللامع المنبي في شرح شعر المتنبي » وكان له عند ابي العلاء المنزلة الاولى والمقام وكفاه فخرًا ان ينال شعره حظوة في عين فكرة ابي العلاء ولا يضر نظمه بعد هذا ان لم يرق ابن خلدون وغيره لاميال نجهلها او لجهلهم قدره . ولما اتم شرحه قرئ عليه واخذ الجماعة في وصفه فقال ابو العلاء كأنما نظر المتنبي الي بلحظ الغيب فقال :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صممُ

واختصر ديوان ابي تمام وشرحه وسماه « ذكرى حبيب » وديوان البحتري وسماه « معجز احمد » ودخل بغداد سنة ثلاثمئة

واثنتين وتسعين ووطأها ثانية سنة ثلاثمئة وتسع وتسعين واقام بها سنة وسبعة اشهر ثم رجع الى المعرة ولزم منزلـه وشرع بالتصنيف والتأليف والنظم والكتابة واخذ عنه الناس وسار اليه الطلبة من الافاق وسمّى نفسه رهن المَحبَسين وكاتبه العلماء والوزراء واصحاب المكانة والقدر وكان لا يأكل اللحم تزهُّدا ونظم وهو ابن احدى عشرة سنة وتوصل الى مقـام الحَيرة ـ المراد من الحديث (اللهمَّ زدني منك حيرةً) وتوفيَ الثالث من شهر ربيع الاول لسنة اربعمئة وتسع واربعين .

فعدد السنين التي مضت من سنه ست وثمانون واختلف الناس فيه فمنهم من جرد عليـه سهام القدح والتثريب واساء الظن وحسبه دهرياً ومنهم من مدحه واحسن الظن وعده ورعاً زاهداً صوفيا من المتفانين في الله تعالى ومن جملتهم كمال الدين صاحب الرسالة وقد اصاب هؤلاء واخطأ غيرهم وبعض الظن اثم وكمال الدين احكم القول وان كان في رسالته بعض الغلوّ الذي لا يقنع به عاقل . ولما توفي قرئت عـلى قبره مئتا ختمة ورثاه اربعة وثمـانون شاعراً وكان حفظه وفهمه نادري الوجود في رجل واصدق برهان على صحة ذلك ان رجلاً اعمى حفظ علوم الادب وسابق المبصرين من علماء العربيـة الاولين واستظهر اقوال العرب وكتب في العلل والزحافات ما عجز عنه غيره وانتقد من ابيات العرب بعض ما خرج عنها كما يتبين لمطالع

رسائله والكلام الذي في اول لزومياته . وله مواعظ تؤثر في الجهاد تشهد بصدق نيته وطويته وتقاه ولم يكن ابو العلاء اول من اختلفت فيه الاراء فقد نال غيره من ذلك حظاً فما اتفقت اراؤهم في محيي الدين بن عربي وفي الهروري فعدهما البعض ضالين مضلين

٢

منزلته في فنون الادب وخصوصاً في الشعر والنثر

ان سعة نطاق مدارك ابي العلاء لا تخفى على الأُلى يطالعون ما كتب ان نظماً او نثراً من ارباب المعرفة والادب فينجلي لهم فضله وسمو افكاره فلا يرجعون الى رأي غير رأيهم بما يرونه هنالك من رفعة المعاني ودقة المباني وقوة التركيب والعدول عن الجوازات الضعيفة والاسهاب في القول رجوعاً الى ما استدلوا به . على ان ابا العلاء كان في الصرف الهرّاء وفي النحو ابن هشام وفي الشرح الواحدي وفي اللغة ابن منظور الافريقي وعليه فلا تكون قوافيه احط منزلة من ابي تمام وتخيلاته دون البحتري ولا اقل من المتنبي حكماً وفوائد على ان الاولين لم يتوخيا نظم الحقائق الراهنة في قالب رفعه تخيلها الشعري كما فعل ابو الطيب بل جل شعرهما في الغزل والمدح والرثاء والهجاء على ان ابا العلاء تقصد الحقائق الراهنة فنظمها في سمط من الشعر يراه المطالع لاول واهلة محض تصور شان

الشاعر المجيد فاذا انعم النظر فيه بدت له تلك الحكم المسبوكة في قالب البلاغة فوقف عندها باهتاً حائرًا مدهوشاً ولولا خوفي من ان ينسب الى كلامي الغلو والاغراق قلت ضاهى الثلاثة بل فاقهم بحكمه التي لم تخرجه عن حد الشاعر

ولم أرَ في ما جمع من نظمه بضوء السقط احكم من قوافيه حتى لو اراد شاعر ان يبدل كلمة من غيرها لتعذر عليه وبعد عنه الامر ولو فعل لتغير المعنى المراد وذلك مما يدل على قوة الشاعر ومقدرته . على ان فضله في اذخار ما توصل الى حصره من العلوم والمعارف لارفع من ان يحده حاذق . فربّ اعمى يسابق مثل الشعراء الاولين الأُلى جعلته من منزلتهم ويؤلف ما لم يؤلف غيره من معاصريه ولو وجد في ايام العرب الجاهلية لضاهى امرأ القيس والنابغة ولبيدًا وزهيرًا واني وان قلت ان الرجل يخلق شاعرًا فلا انقاد الى ما يتوهمه البعض ان ليس منه شيء اكتسابي فمن الشعر ما يكتسب ومنه ما يكون سليقياً وابو العلاء جمع الامرين فهو مطبوع وقد اجاد فيما اكتسبه وتفنن وفي شعره عزة وسمو ليست في سواه فقد وقف في ثبج النجوم وسار على هام الكواكب فنادم الثريا وغازل المشتري ونادم زُحل وسامر الزُهرة وجالس الشعرى . وفي كثير مما نظمه الغث والسمين فشعراء البادية لم يدرك شأوهم ابو العلاء ولا سواه واری ان اذكر شيئاً من فرائد نظمه التي تأخذ بمجامع العقول

ومقابل بين الوجوه ولاحق ... وافاك بين مُطهم ومطهم
صاغ النهارَ حجوله فكأنه ... قطعت له الظلماء ثوب الادهم
قلق السماك لركضه ولربما ... نفض الغبار على جبين المرزم
مثل العرائس ما انثنت من غارة ... الا مخضبة السنابك بالدم
ادمت نواجزها الظبي فكأنما ... صبغت سنابكها بمثل العندم
ونبت حوافرها قتاماً ساطعاً ... لولا انقياد عداك لم يتهدم
باضَ النسور به وخيم مُصعداً ... حتى ترعرع فيه فرخ القشعم
وسما الى حوض الغمام فماؤه ... كدر بمنهال الغبار الاقتم

فاي قارئ يقرأ هذه الابيات ولا يحكم انها تكاد تحاكي ابيات عنترة في معلقته : وقوله من قصيدة

كأني في لسان الدهر لفظٌ ... تضمّن منه اغراضاً بعادا
يكررني ليفهمني رجالٌ ... كما كررت معنىً مستعادا

وقوله في غيرها :

تخيرت جهدي لو وجدت خيارا ... وطرت بعزمي لو وجدت مطارا
جهلت فلما لم ارَ الجهل مغنياً ... حلمت فاوسعت الزمان وقارا

وقوله من قصيدة فخرية :

فلو بان عنقي ما تأسف منكبي ... ولو مات زندي ما بكته الانامل
وقال السهى للشمس انت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهةً ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي ان دهرك هازل

الى ان قال :

فان كنت تبغى العز فابغي توسطاً فعند التناهي يقصرُ المتطاولُ
توقّى البدورُ النقص وهي اهلة ويدركها النقصان وهي كوامل

ولانه ادرك غلوه في هذه القصيدة وخروجه الى ما لا يمكن للانسان الحصول عليه ختم بما هو مقنع . وكان ابو العلاء اذا حكم بامر معقول لا يبرح ان يتحقق كما روي عنه لما سارت قصيدته هذه وتناقلتها الالسن . فحدث ان مرّ يوماً بصغير فقال : يا ابا العلاء ألست انت القائل

واني وان كنت الاخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الاوائل

قال بلى ولكن ما وراء ذلك قال ان الاولين وضعوا حروف الهجاء الك ان تزيد فيها او تحذف منها . فاطرق أبو العلاء هنيهة ثم قال لا اظنك تحيا لفرط ذكائك فلم تمر بهِ بضعة ايام حتى ثبت قول ابي العلاء بموت الصبي وما احسن ما قال : مادحاً :

اليك تناهى كل فخر وسؤدد فابل الليالي والانام وجدّدِ
لجدك كان المجد ثم حويته ولابنك يُبنى منه أشرف معقدِ
ثلثة ايام هي الدهر كله وما هي غير الامس واليوم والغدِ
وما البدر الا واحد غير انه يغيب وياتي بالضياء المجددِ

وقوله :

ليت التحمل عن ذراك حلول والسير عن حلب اليك رحيل

يا أبن الذي بلسانه وبيانه هدي الانام ونزل التنزيلُ
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدومه التواراة والانجيلُ
مني اليك مع الرياح تحية مشفوعة ومع الوميض رسولُ
في القلب ذكرك لا يزول وان اتى دون اللقاء سباسب وهجولُ

وقوله في رثاء والده :

نقمت الرضى حتى على عارض المزن فلا جادني الا عبوس من الدجن
ولو حفروا في درة ما رضيتها لجسمك ابقاء عليه من الدفن
ولو اودعوك الجو ضقنا مصيفه ومشتاه وازداد الضنين من الضن
فيا قبر واهٍ من ترابك ليناً عليه وآهٍ من جنادلك الخشن

وقوله :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك او ترنم شاد

وهي قصيدة طويلة تحيّر الالباب . وقوله :

مغاني اللوى من شخصك اليوم اطلال وفي النوم مغنى من خيالك محلال
معانيك شتى والعبارة واحدٌ فطرفك مغتال وزندك مغتال

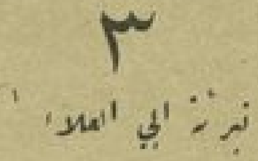
الى ان قال :

فيا وطني ان فاتني بك سابق من الدهر فلينعم لساكنك البالُ

وكفى بما استشهدنا به ان نثبت فضله وانه شاعر تفنن واجاد ونظم على كل وزن وتقصد كل نوع من ضروب الخيال ولم يهم بالغزل حتى يكذب القائلين الذين يزعمون ان لا يسمى المرء شاعراً الا اذا كان عاشقاً ... وهو الذي ترك المنقولات وعدل الى المعقولات دأب الفيلسوف الحكيم هذا ولم يخف

عليٍّ ما لم يكد يتنزه عنها الشعراء الصرحاء او المخضرمون او المولدون فقد وقعت في شعر ابي الطيب وابي تمام والبحتري وانهم اجدر ان نؤاخذهم بها من ان نلوم ابا العلاء لانهم كانوا مفتحي الاعين يستطيعون المطالعة والمراجعة والبحث ومن نظمهم ما لا نحسبه شعراً وما العصمة الا لله وحده وكفى المرء فخراً ان تعد معايبه

اما نثره فترى به ان من البيان لسحراً وقد توخى برسائله تأديباً وتعليماً وموعظةً وابداء حقائق ولم يقتصر شأن غيره على اظهار الشوق او العتب وتراكيبه تسيل رقة وعذوبة وغير مستعمل التشابيه البذة تاركاً الاستعارات المستقبحة مستخفاً بالمفردات المغايرة للفصاحة فلا ترى مثل : قيضة كلب وتعويج السبال الخ هذا وقد ثبت عندي هذا الفرق لاني صححت الطبعة الثانية من رسائل بديع الزمان قبل الحرب وطبعت سنة ١٩٢١ في المطبعة الكاثوليكية في بيروت



٣

نبذة ابي العلاء [1]

من كان مثل ابي العلاء بعيد مرمى الفكر رفيع منزلة العقل واسع الاطلاع فمن المحال ان ينكر وجود الخالق او

(١) هذا القسم نشرته مجلة « السلام » بعد الحرب الكونية

لا يقول بالبعث وخلود النفس والعذاب او العقاب . لكن الرجل العظيم القدر والمجد، حظه من الدنيا ان يكون كثير العدو قليل الصديق يحسده قوم لا يفقهون، قاصرون عن الوصول الى مداركه السامية يبثون سماً زعافاً بكتابات واقوال تظل في الدهر . فيقرأها المتأخرون فيسيئون ظناً بالمتقدم المحسود. ذلك جهل لا يختلف فيهِ اصحاب الحصافة

ومن العجب ان بعض تلامذة ابي العلاء راموا اهانته وتخطئته وقالوا عليهِ ميناً ونظموا ابياتاً وسيروها على السنة الناس ونسبوها الى استاذهم الفيلسوف الشهير وهو براء مما نظم . وقد ادرك سر الامر فقال :

حاول اهواني قوم فما واجهتهم الا باهواني[1]
وقولوني بمقالاتهم فغيروا نية اخواني
لو استطاعوا لوشوا بي الى المريخ في الشهب وكيوان

ولا يخفى ان المتأخر يدرك مدارك المتقدم واعتقاده ومذهبه ودينه واخلاقه من كثب، لان المخطوط لسان الغابر ينطق عن معارفه ومذاهبه وهو لا ينبس ولا يروي

ولما كنت شديد الميل الى المتقدمين الذين اشتهروا بعلومهم وادابهم وخصوصاً الى رجال لغتنا العربية شعراء وخطباء من عرب ومخضرمين ومولدين يسوئني ان اقرأ او اسمع عن احدهم

(١) استعمل اهوان والصواب اهانة

كلاماً يحط من قدره ويحقره في عين العاقل قبل ان يقف على الحقائق وفي نظر الجاهل لانه لا يدرك الامور وبما اني هائم في شعر ابي العلاء وهو انيسي في وحدتي عز علي الا انتصر له فابرئه مصيباً بعد نحو تسعمئة سنة لاني لم ار ما يثبت كفره وعند الخبير لا يكون امرؤ فيلسوفاً وفلكياً كافراً كان او جاحداً او منكراً او متردداً في وجود العلة الاولى : فابو العلاء فيلسوف وحكيم وفلكي فليس هو بكافر او جاحد او منكر . وانا احسب الصرف والنحو وبعض المنطق فنوناً والفلسفة علماً وهي مبنية على الاقرار بوجود الخالق . فابو العلاء كما قلنا فيلسوف فهو ليس بكافر . فالفلاسفة الذين وجدوا قبل السيد المسيح توصلوا الى الالمام بمعرفة وجود الخالق الالهي وكانوا في مهد الوثنية وقد قال احدهم يا مسبب الاسباب ارحمني فقد اقر بالله تعالى فلاسفة يجهلونه فلن ينكره فيلسوف موحد يعرفه ومن يعد فولتير (Voltaire) ومن هم على شاكلته فلاسفة فهم مخطئون حتى لا يسوغ لنا ان نحسبهم علماء لانهم بنوا اساس علمهم على الجهل او التجاهل او الانكار فانهم جهلة لا علماء بل هم مفتنون رغبوا عن الحق الى اختلاق وافتراء ليستميلوا اليهم فئة يعزونهم في آلامهم المحرقة احشاءهم الموقد جذوتها تبكيت ضمائرهم المؤلم فتظاهروا بمذاهبهم ليشبعوا شهواتهم الحيوانية ويكونوا في نظر اشياعهم ابرياء . . .

ثم ان لابي العلاء الماماً في علم الفلك فمن المستبعد ان لا يرى قدرة الخالق في هذا الفلك وابو العلاء قطن ثبج النجوم فاذاً ليس هو بكافر . ويتبين لمطالع « سقط الزند » هيامه في النجوم والكواكب لانه اكثر من ذكرها

هذا ومما ينطق بحقائق اعتقاده بوجود الله تعالى وينفي وصمة الكفر به عز وجل ما نورده من نظمه حجة وبرهاناً

فمن ذلك قوله :

١ اذا قومنا لم يعبدوا الله وحده	بنصح فإنا منهم بُرءآء
٢ وسهام دهر لا تزال مصيبة	صرفت باذن الله عن اخطائها
٣ عمدتم لرأي المثنوية بعد ما	جرت لذة التوحيد في اللهوات
٤ وشاهدُ خالقي ان الصلوة له	اجلُّ عندي من دُري وياقوتي
٥ عجبي للطبيب يلحد في الخا	لق من بعد درسه التشريحا
٦ الهنا الله ملك اول احد	تطيعه من صنوف الناس آحاد
٧ وشاع في الناس قول لست اعهده	وذاك ان رجالا ذامت[1] الصمدا
٨ هو الفلك الدوار اجراه ربه	على ما ترى من قبل ان تجري الفُلك
٩ فلو يرجى مع الشركاء خير	لما كان الاله بلا شريك
١٠ فما عبدوا سوى الرحمن رباً	اذ المعبود نسرٌ والمدان
١١ فلولا الله قال الناس اضحت	ثمانيةً به السبع الشداد

---

(١) ذامت اي عابت

وما احسن ما كان تسليمه لله تعالى ومن ذلك قوله :

مـا يشأ ربك يفعل قادراً جل عن كل مقال واعتراض
والرزق يأتي ولم تبسط اليه يدي سيان في ذاك ادناني واقصائي
تعالى الذي صاغ النجوم بقدرة عن القول اضحى فاعل السوء مجبرا
قالت لي النفس اني في اذى وقذى فقلت صبراً وتسليما كذا يجب

ومما يثبت ايمانه في القدر وخوفه من الموت قوله :

اذا نزل المقدورُ لم يك للقطا نهوض ولا للمخدرات نيامُ
وللموت كاس تكره النفس شربها ولا بد يوماً ان نكون لها شربا

ومما يثبت اعتقاده في البعث والنشور والثواب والعقاب قوله :

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لاموات
لعلك في يوم القيامة ذاكري فتسأل ربي ان يخفف من اثمي

وما اجمل ما قاله في الروح :

تجاور هذا الجسم والروح برهة فما برحت تأذى بذاك وتصدأ
والروح شيء لطيف ليس يدركه عقل ويسكن من جسم الفتى حرجا
سبحان ربك هل يبقى الرشاد له وهل يحس بما يلقى اذا خرجا(١)

ومما يشهد له بمحافظته على اصول دينه كرهه الخمرة فقد قال :

هي الراح اهل لطول الهجاء وان خصها معشر بالمـدح

---

(١) البيت افتنان والاستفهام انكاري

وحاذر من الصهباء فهي عــدوة

من الصهب[1] مشت في مفاصلك السكرا

ومما يثبت ان ابا العلاء عاش في سجايا محمودة ما نظمه مظهرًا بغضه الفسق وميله الى العفة والفضيلة والصبر والامانة والصدق والتنكيب عن الحسد الى غير هذه الفضائل التي يعلو بها المرء مكانةً ويبقي سمعةً طيبــة ويذخر ذكرًا مجيــدًا قوله ناهياً :

لا تتبعنَّ الغانيات مماشياً ان الغواني جمة تبعاتهــا

(سكن الغواني حال وجوب نصبها)

وقال والضمير عائد الى النساء :

وليس عكوفهنَّ على المصلى أماناً من غوادرَ مجرمـاتِ

وقال وقد احكم واجاد :

وواحدةٌ كفتكَ فلا تجاوز الى أخرى تجيءُ بمؤلمـات

والدليل الدال على عفته عزوبته وامره ان يكتب عـلى ضريحه بيته الشهير : وان كان فيه مخالفة لشريعة التناسل

هذا جناهُ ابي عــليَّ م وما جنيتُ على احد

وكان مع ما غرس فيه من حبه الراسخ العصبية بعــده عن التعصب مما يشعرنا به بعض ما نظم انه يذعن للحق

---

(١) اي مما قيل للاعداء صهب السبال وسود الاكباد وان لم يكونوا كذلك اراد انها من اعداء المرء السود الاكباد

يا راهب لا الحاك م – ان تضرب ناقوسك

وعاش شديد البغض للدنيا فقال :

وقد خلقت عوجاء مثل هلالها　　يكون وإياها القيامة معوجاً

وفيه افضل شاهد على اعتقاده بالقيامة

وكفاه فضيلةً انه صبر على حالته فاقد البصر وان مكرهاً.

لان العمى نكبةٌ على كل مخلوق وان أمياً لا تحدثه نفسه بسوى ما يأكل ويشرب فكيف بهِ اذا نابَ رجلًا كأبي العلاء من لم يكن يرى سعادةً الا في المحابر والاقلام وهو مفتقرٌ الى من يكتب له ما يوحيه خاطره وما يستنبطه او يؤلفه والى من يقرأ عليه ما يرغب في معرفته والافتقار الى السوى والرجاء مصيبتان اشد من مرزأته وقد شعر بتلك الشدة فشكا الى نفسه منها وهو غير ملوم ان فعل ومن ذلك قوله :

اراني في الثلاثة من سجوني　　فلا تسأل عن الخبر النبيثِ

لفقدي ناظري ولزوم بيتي　　وكون النفس في الجسد الخبيثِ

وفي البيت دلالة على احتقاره الجسد شأن الزاهد :

وقوله من التواضع والشكاية :

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى　　فليلتي القصوى ثلاث ليالِ

وكان عارفاً الكتاب المقدس معتقداً به متضلعاً من معاني القرآن ومما يشهد له بهذا الاقرار قوله :

ويوشع ردَّ يوحى[1] بعض يومٍ　　وانت متى سفرتَ رددتَ يوحى

---

(١) يوحى من اسماء الشمس

٢ وحطي لها قبراً يضلون دونه　　كقبر لموسى ضلهُ آل اسرال

وقولهُ :

زعم المنجم والطبيب كلاهما　　ان لا معادَ فقلت ذاك اليكما
ان صحَّ قولكما فاني لواثقٌ　　او صحَّ قولي فالوبال عليكما

فقد نسبا اليهِ: اما انا فلم اقف لهما على اثر في ما تصفحته من شعره واذا كانا لهُ فالحق في جانبه

واما ما يشبه قولهُ

هل الدين الا كاعب دون وصلها　　حجابٌ ومهرٌ معوزٌ وحباء
وما قبلت نفسي من الخير لفظةً　　وان طال ما فاهت به الخطباء

فبمثلها يرى الذين يرومون ان يرموه عن قوس عذلهم اياه وجهاً للتأويل لكن الامر لا يشكل على العارف بالتراكيب العربية والبيت الثاني على سبيل الاتباع ومراده ان يبين ان نفسه امارة بالسوء ميالة الى الشر وما يبذلهُ من الجهد في تقويم اودها يذهب عبثاً فمثل هذه الابيات وشبهها لا تخفى حقائقها الا على الجهال او المتجاهلين

وما ورد له من مثل قوله :

اقيمي لا اعدُّ الحجَّ فرضاً　　على عجز النساء او العذارى
في بطحاء مكة شرّ قوم　　وليسوا بالحماة او الغيارى

فلا يثبت جحده الدين فاذا قال ليس على النساء ان تحجَّ حرصاً على صيانتهنَّ وان اعتقاده ان هناك قوماً اشراراً فلا

ينفي وجودهم وجود اخيار

وما جاء في بعض قصائده ما يحاكي قوله :

١ وقد زعموا هذي النفوس بواقياً تشكّل في اجسامها وتهذّبُ

٢ ان يصحب الروح عقلي بعد مظعنها للموت عني فأجدر ان ترى عجبا

٣ وان مضت في الفضاء الرحب هالكة

هلاك جسمي في تربي فوا شجبا

رأى اعداؤه مجالاً ليرتابوا في حقائق معتقده وينسبوا اليه الضلال والكفر لولا استدراكه هذه الابيات بما ينفي بها الوصمة عنه ويزيد في وضوح رشده وضوحاً فقد ورد له في القصيدة ذاتها قوله :

وتنقل فيها فالسعيد مكرَّمٌ بما هو لاقٍ والشقيُّ معذّبُ

على ان مثل ابي العلاء مباح له ان يفتنَّ في نظمِهِ المزري بنظم الجواهر وان يفتن العقول ببلاغته التي ترفع رأس الهائم به فليت شعري اذا قال البرُّ العفيف الزاهد في الدنيا المنقطع الى خدمة الله : ايتها النفس اذا خرجت من الجسد اتطيرين في الفضاء او ترفين على وجه الماء او تسكنين ان صالحة السماء او تقاسين ان مذنبة عذاب النار التي لا يعادلها حرّ الرمضاء بل انك جوهر لطيف خلقك الله تعالى ليكافئك سعادة ابدية اذا كانت اعمالك صالحة ويشجبك بآثامك اذا خالفت شرائعه المقدسة انحكم ان القائل كفر لايراده المذاهب والمعتقدات ولانه افتنَّ في الكلام ليكسوَ الحقيقة رونقاً فالقول بخلود الروح والاعتقاد

بالنشور واتحاد النفوس مع اجسادها في القيامة حقائق جوهرية يسوغ للعالم ان يبحث عنها ليكون على يقين من اعتقاده بها وليس ادراكها بسهل على عقول اعظم الفلاسفة ولو ان المسألة قريبة المأخذ لكان ارسطو وافلاطون والاسكندر استنوا بشرائع الآب الازلي وسلكوا الصراط المستقيم

وان احد القديسين ظل متردداً في حقيقة التثليث مفكراً في التوصل الى ادراكها سنين طويلة ولم يرتدع عن الامعان والانعام الا بامر الله تعالى بملاك ارسله اليه فعرّفه خطاه وقد ظنه القديس بشراً صغيراً يحتفر حفرة في الرمل قرب البحر ويملأ كوباً كان بيده من ماء البحر ويصبه فيما احتفر فوقف القديس وسأله عما يفعله

فقال مرادي ان انقل ماء البحر الى هذه الحفرة

فاجابه هازئاً : أعندك انك تتوصل الى بغيتك

فاجابه على الفور انه لاهون عليَّ ان افوز ببغيتي من ان تحدّ بعض ما انت استغرقت اعواماً في اعمال فكرتك فيه

ثم غاب عن بصره .

فعلم القديس انهُ ملك سماوي ارسل ليردعه عما ترآى لهُ ان يفقهه . وان ذلك الفيلسوف اليوناني لم يتجاسر ان يقول كلمة « يا مسبب الاسباب ارحمني » الا بعد ان افنى سنيه في البحث والتنقيب عن تلك الحقيقة المبنية عليها اصول الفلسفة

الصحيحة وعند الحكماء غير ملوم من يبحث في الاديان ليعرف اذا كان على صواب فيظل عليه او في خطإٍ فيعدل عنه فليت الكل يبحثون ليعرفوا الحقيقة ويعتنقوا الدين الحقيقي

فما تقدم يتبين للمطالع اني دعمت ما كتبت بحجج وبراهين مقنعة تبين براءة ابي العلاء مما رام ان ينسبه اليه حسَّاده . وقد ابى الله ان يُرمس فضل الفاضلين واني لاعجب من قوم يسيئون الظن في رجال فخر بهم الدهر واعتز بآدابهم العلم وكيف يسوغ لهم ان يكرهوا مثل ابي العلاء الحكيم بل الفيلسوف الشاعر المحقق المجيد وقد زاد بي عجبي لما اطلعت على تأويل حاسديه تأويلًا لا يقنع به العقل

ومن مفترياتهم تفسيرهم بيتاً من نظمه قالوا في تأويله انه نسب الضلال الى الشيخ حسن العدوي الحمزاوي والبيت لا ينطبق على ذلك التفسير العاري عن الصحة وقد لاح لي انه لغزٌ فحللته على اوجه حل الالغاز فالاحاجي فالمعميات فلم اجد فيه وجهاً يحلل لهم تأويلهم الفاسدة

وبعيدٌ ان ابا العلاء يهزأ بالشيخ الحمزاوي وليعلم اولئك ان العظام لا تحقرهم مذمة الحساد الافترائية . فما كان اجدرهم ان يحسنوا الظن بمن هم كأساتذتهم

وافضل ما بقي في ذهن المطالع قولنا ان كل ما نظمه ابو العلاء مسطرٌ في كتاب « سقط الزند » ومن تصفحه تتجلى له

براءة الشاعر . وهب ان قلنا ان ابا العلاء كفر في اول نشأته فقد عاد عن ضلاله وتاب الى ربه وهو التوّاب الغفور . وان لابي العلاء أُسوة بسليمان الحكيم الذي بعد ان ضل رجع الى رشده وارعوى . واخالهُ المذهب الصحيح

ولا احسب ان ابا العلاء كفر بالله ساعةً . وحسبي مناضلتي بحق عن ذوي الفضل

فتى العصر وفتاته

بتوقيع عصام

جرت مناظرات بين بعض كتبة بيروت بتواقيع مستعارة ونشرت في جريدة لسان الحال الصادق في هذا البحث . سنة ١٩٠٠
فكتب في الموضوع بتوقيع «عصام»

واني لا الومك في دخولي ولكن ما وراءك يا عصامُ

وراءي قول صدق لا اكتمهُ ابناء الوطن وجلاء غوامض حقيقة اميل الى ان ارفع عن محياها سجفاً سديلًا لا يزال الى اليوم مقنعها فاشكل الامر وتفاقم الخطب وعلم الله ان ليس المراد من وراء ما اكتب لومَ من خاضوا في البحث عن سبب احجام شبان العصر عن الزواج فقد نطقوا بما اوحاه اليهم الضمير

حباً بتقويم الاود ورغبة في سد الخلل وليس مقصدي ان اصوب سهام العذل الى الاديبة التي ذادت عن حياض مكارم جنسها اللطيف فالذود دأب ذوات النفوس الابية . انما الغرض الاقصى هو اظهار السبب الحامل على قلة الزواج في العصر الحالي . ان احجام الشبان عنه لجناية بعضهم الالى حسبوا ان الفتى هو من اطل بوجه يفضح البدر اشراقاً ونوراً او الذي يسير على وجه الارض مرحاً سويا او الذي يختال عجباً بمارن جميل وقد مياس وعينين نجلاوين او من جعل النواظر في عينيه وهو حاد البصر وارخى العنفقة « شعيرات في وسط الشفة السفلى » وهز عصاً معقوفة القبضة واصبح يقتل نهاره طرباً ويحيي ليلهُ مقامراً متهتكاً وهو لاه عن اتمام واجبات الشبيبة الدينية والمدنية وقد خفي عليه قول الشاعر :

لا خير في حسن الجسوم وكبرها ان لم يزن حسن الجسوم عقول

فمال الى المفاسد وخلع دثار الادب ولم يرع للعفاف حرمة واستعبد لشهواته فاغواه الغرور فضل واضل فندٌ هو وزملاؤه في فيفاة الضلال وكادوا لولا حرمة الله يجحدون وجوده فعدلوا الى رمس شرائع تكريم ارباب دينهم ونبذ ارشادهم وسخروا بنصائح شيوخهم وحكمائهم وداسوا الاعتبار الابوي باخمصهم فآل بهم ذاك الاستبداد وهاتيك الحالة الى التورط في الكفر والحمق فاطلقوا لطرف الميل عنانه فاقلقه المراح وهو غير مقيد

فجمح ولم يكن له من شكيمة ولما وجد الجهل طالبهم بالبذخ والتأنق في الملابس والتهور في ظلماتـه فاستدعت الحال زيادة التبذير والاسراف . فاجابوا سوءلها فغدوا ميالين الى المثابرة على ما رووا منه المسرة واطغاهم شيطان الغوى فأبوا ان يقيدوا ذواتهم بزوجة صالحة حذر ان يقفوا عند حد من الجهل وخافوا ان يصدهم عن بعض ما يرتكبون فيحرمون اللذات المحرمة او لعلمهم بانهم سيصبحون آباء وارباب منـازل تتقاضى بوفاء واجبات بذل المال في مواضعه ولم يبقَ لهم منه ما يكفيهم موءنة القيام بقضاء الامرين فاعرضوا عن الزواج وكانت البلية عليهم فبـات الزيغ زميل الجهـل فانقضت عليهم الدواهي وتناوبتهم الاوصاب لتطوحهم في ارتكاب المحرمات وكثرة السهر فضعفت عقولهم ووهنت قواهم وماتوا في مقتبل العمر فاقدين الدين والشرف والعقل حارمين نفوسهم سعادة الدارين فمثـل هوءلاء من اظهروا للفتيـات رغبتهم في الاقتران بهن ليستهووهن فملن الى الموءانسة والملاطفة وبالغن في تحسين الوجوه وتضفير الشعور وتخطيط الحواجب وكمد العيون والتضمخ بالطيوب وتزيين الصدور بباقات الازهار وتكليل الروءوس باكلة الرياحين «والضغط على الخصور بالمشد» افة الحيـاة والارتداء بكسى لونهـا عنق الحمام وجر الذيول المرجلة فاخذن يتمايلن كالخيزرانة واستسلمن الى اشارة اولئك المداجين الماكرين الذين

فتحوا منهن اعينا واوصلوهن الى الشر فاستمسكن به

وقد اغرمن في الملاهي ارضاء للمحبين . واباؤهن وامهاتهن اطلقوا لهن قيد الحرية طمعاً بان يروا ذاك الفتى الغني الفاتن او الشريف الذي يتردد الى دورهم زوج تلك الآنسة التي عرفت ملكاً طاهراً وقد اضحت بعيد تلك المجالسات شيطاناً رجيماً فخاب الامل وكان الذل والعار فندموا وقد فات الوقت فاولئك الوالدون الذين يستحلون ان تكون الفتيات وسيلة للحصول على مبتغياتهم ومطاليب الشابات وميلهن الى التبهرج ومعارضتهن بعض الغربيات الشاردات في الحرية بسوء تربيتهن وبتغاضي الام وميلها هي الى الفساد قبل ابنتها تفتح لها الطريق الى الشر فتسلكها ثم تود ان تتبرأ فلا تجد مجالاً فتبقى ضالة شاردة وقد خلعت ثوب الحشمة واهلكت ابنها او بناتها اسبابُ للتهتك والعُهر :

اجل ان تمادي الفتيات بالهيام في الملبس والمأكل والمشرب من الاسباب الداعية الى تهتكهن ونفور شبان العصر منهن وقعودهم عن الزواج . ووجود العواهر من اعظم الدواعي لاحجام الفتيان عن الاقتران فكم من فتى يعول عاهرة غير راحم ثروة ابيه يلهو منقاداً الى ميله وتلك قد اسرته تأمره فيطيع وتنهاه فيمتنع وشر هاتيك الاسباب هي البائنة (الدوطة) التي اتصلت الينا فملنا اليها فاصبحت لا تروج في سوق الزواج سوى المثرية . ولا يخفى ان الفتى العارف أنه اذا تزوج سيصبح

يوماً اباً ورب‌ بيت مطالباً بالواجبات للقيام بحقوق منزله وسد عوز بيته فان كان فقيراً او من المتوسطين فلا يمكنه ان ينفق ماله على المشدات والحلى ويقوت بنيه ويحسن منزلــه فيرضى بالعزوبة ويبعد عن الزواج وان غرّته بائنة فتاة فيتزوج بمالها لا بها حتى اذا راى ما يسوءه نفر منها وصد عنها وافضى الامر الى الشقاء وافناء العمر بالمخاصمة والشتيمة والسباب . فليسأل القارئ اللبيب وجوه آنسات العصر كم تنفق رباتها كل يوم من الدراهم بالملونات المختلفة ولوائح الازياء الجديدة فان فيها ما يغنيه عن الجواب فلماذا يرغبن في تغيير هيئة الخالق ؟ الم يعلمن ان « ليس التكحل في العينين كالكحل » : ثم اذا حولنا الطرف عن الوجوه فلنستوقفه على الاعناق فالصدور فالمعاصم ولنثمّن هاتيك الحلى والحلل فتالله ان هي الا امور تروع الناظر . وجــل الذنب كما قلنا راجع الى بعض الاباء والامهات الذين يطلقون لبناتهم عنان الحرية : فكيف تأذن الام لابنتها ان تخاطب شاباً بغير حضرتها وهو ليس بخطيبها وكيف تجسر الفتاة نفسها ان ترد التحية على من تجهله ومن اعطى للشاب الحق ان يتجاسر على مكاشفة فتاة ليست بخطيبته بكلمة واحدة وان نصيحة لها ويا لله من حالــة نحن فيها اليوم اذا نزلت بعض الفتيات الى الاسواق تراهن كأنهن فتيان يتبخترن بمشيتهن ولا يلوين على ستر ايديهن فتراهن لابسات ثوباً شفافاً يبين منه بياض صدرهن

وهناك يسمعن من الكلام ما يستحي منه الرجل المتعود اقتحام الغارات . اجل لم تخلق الفتاة لتستعبد ولكن ليس لها من الحرية في التجول والمخاطبات ما للرجل وكذا لم يكن الرجل رباً او سيداً ولكنه ليس بمروحة في يد المرأة فللرجل حقوق وللامرأة حقوق عليها فلو روعيت لما توصلنا الى ما توصلنا اليه فليصن الجنس اللطيف ذواتهن وليحافظن على طهارتهن وعفافهن وليسهر الاباء على تربية الابناء والامهات على تهذيب اخلاق الفتيات وليعرف بعض شبان العصر وشاباته ان مسالكهم القبيحة تؤدي بهم الى خسارة الشرف وفقد الاموال واضاعة الكرامة وتدنيس العرض وتجر اليهم النكبات جزالا وتغرم بهم الادواء ويداهمهم الموت فيلحدون وهم في ريعان العمر ولنتقِ الله ثم الحسن في حالتنا ولنتذكر عوائد القدماء ولننبذ ما نشبه به بغيرنا من الامم كالبذخ والاسراف والمقامرة وتكثير الرياش وخصوصاً المخاصرة والمشد ولنعلم ان سكان البادية كانوا اشد حفاظاً على اعراضهم واكثر غيرة على نسائهم واسهر طرفاً على تربية بناتهم واعلى همة واعز قدراً من بعض سكان الدور والقصور الامس واليوم وان المرأة العربية كانت اسمى نفساً واعز واطهر من بعض الحضريات وكان لها مقام فيهم لا اظنه لها اليوم عند بني المدنية ومرادي بذلك المقال ان الرجل كان يعرفها واجباتها وهي لا تجهلها فيحافظ على واجباته

وهي تتقيد بحقوقها ولا تتعداها وكانت تشاركه في اعماله حتى في حروبه وغزواته وتحسب ذاتها انها معرضة للعار والفضيحة ولذا كانت كثيرًا ما تتقنع وتتحجب حذر ان تجني على ذاتها واسرتها وتوئثر ان توأد من ان ترتكب ما يشين معشرها ويحط من اقدارهم وكانت اذا جاءها خطيب يطلبها من ابيهـا وهو ليس كفوءًا لها ولو امير قبيلة ردته على عقبه ولم تلتفت اليه وان البدر سافرا وان تكن ليست جديرة به او كان بها داء او كانت فاعلة كشفت له عن امرها الستار وعرفته ما خفي عليه اباء وتعززًا فيصبح الرجل على هداية وهي غير جاهلـة ان الطلاق يفك اسر الاثنين اذا كان احد الزوجين غـير راض بحالته فكان لها حق الطلاق كما للرجل فاذا انفت من البقاء عنده اورأت منه ما يشينها تركته الى ان يغادر الخباء فحولت بابه الى جهة غير التي كان عليها قبل خروج الرجل منه فاذا عاد ورآه على هاتيك الحالة علم ما في نفس امراته فلم يدخل وهي التي كانت تتخلى عن حق بكوريتها الى احدى شقيقاتها اذا رات ان احداهن اجدر منها بمن جاءها راغباً في الاقتران بها وتلك الامور لا يجهلها الباحثون عن احوال العرب فمنها خبر امراة عروة بن الورد الرجل الشهير بغزواته وشجاعتـه وبسطة كفه وجماله ابت ان يضرب قبتهُ عليها قبل وصولها الى قبيلته لانه كان قد سباها فخالت السبي عارًا ولما وطئا محلة

قومه امرته ان يصنع عرساً وانفت ان يقترن بها كسبية حذر ان تلحقها وصمة ذل ففعل اجابة لطلبها وبعد ان اقامت في حضرته حيناً استأذنته بالعود الى اهلها لتستطلع اخبارهم فاذن لها وبعد وصولها الى عشيرتها كتبت اليهِ تخبره انها وان كان اكرم الناس رجلا واعلاهم مقاماً وآنسهم طبعاً تأبى ان تكون عروسه اذا لم يكفر عن ذنبه فيطلبها من ابيها فيعيدان عقد الزواج فاكبر عروة خلق امراته ونالها ما تمنت . ومنهـا خبر تماضر الخنساء احدى شواعر العرب الشهيرات التي رام دريد ان يتزوجها فجاء الى ابيها وخطبها اليه فقال لهُ مرحباً بك ابا قرة انك الكريم لا يطعن في حسبه والسيد لا يرد عن حاجتـه والفاضل لا يقرع انفه ولكن لهذه الفتاة في نفسها مـا ليس لغيرها وانا ذاكرك لها وهي فاعلة ثم دخل عليها وقال لها اتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمّة يخطبك وهو ممن تعلمين وكان دريد يسمع قولهما فقـالت يا ابت اتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ومقترنة بشيخ بني جشم هامة اليوم او الغد فخرج اليه ابوها فقال يا ابا قرة قد امتنعت ولعلها ان تجيب فيما بعد فقـال قد سمعت قولكما وانصرف وهي التي قـالت تخاطب اخاها لما اراد ان يكرهها عليـه من ابيات :

اتكرهني هبت على دريد (البيت)

ومنها

لئن اصبحت في جشم هديا   اذا اصبحت في ذل وفقر

ولعزة نفوس العربيات وميل الاعراب الى الزواج كانت الرجال تجد وتسعى في طلب المعالي ليصبح الرجل اهلاً بانسة كريمة الحسب فاين بعضنا من هذه الاخلاق . ولله كيف تغيرت الاحوال والدهر دهر واحد للاوائل كما هو للاواخر: كانت الانسة لا ترضى الرجل الا بمهر يعطيه اياها فاصبح الرجل لا يرضاها الا ببائنة وهي لعمري آفة التمدن ووائدة الثروة واصبح البياض الخارجي يغرنا فنضرب صفحاً عن الاداب والسير وغدت الانسة تارة عبدة في بيت ابيها واخرى ملكة تامر وتنهي . ايها الاباء اسمعوا ما قيل : ان لم تروا لبناتكم ازواجاً اكفاء لهن فاجعلوا بيوتكم قبورهن

وانتم ايها الشبان اعلموا ان تمام سعادة الرجل بمرأة صالحة فابحثوا عنها ولا تغتروا بالمال والجمال . اليكم ما نصفها به فان بها روحاً لطيفاً تدافع هموم الرجل وفي محياها الفاظ دقيقة المعاني تبعد منه كل غم وكربة وفي جبهتها من سمات الثقة والانقياد الى اوامر الرجل ما يجعله سعيداً في حياته فاي رجل لا يضحكه ابتسامها واي امرئ لا تحرك عواطفه دمعها فهي ملك طاهر وسبب نجاح الاسرة وعلة سعادتها ، والضد يظهر حسنه الضد ، فلنترو في هذا البحث ولا ننقد الى اميالنا وليصبر الرجل علي امرأته اذا كانت فاجرة فان سقراط الفيلسوف الشهير

صبر على قبح اخلاق امراته طويلا : حدث انها جاءت يوماً بماء واراقته على راسه وهو يفكر في احدى مسائله الفلسفية فتبسم وقال اظن ان السماء ترعد وتمطر ولا يليق بالمرأة ان تتهتك اذا رأت من بعلها عدم الرصانة فتزيد في تهوّره في المفاسد وفي سوء اخلاقه وغطرسته وكبره وقسوة قلبه وليمعن الفتى والفتاة الفكرة فيما قلناه وينعم الابوان البصر فيما سطرناه ولترفّع الميل عن البائنة ولنقلع النفس عن حب القبعة والذيل والمبيضات والتبختر والتمايل والمخاصرة وحضور المسارح او فليضع الاغنياء لبائنات بناتهم حدّاً لا تتجاوزه ولْنحرِ الاقلام في ميدان هذه المباحث فان لنا مثل لساننا الطليق الاغر الجديرة الوطنية الصادقة المبدإ المتهالكة في خدمة الوطن ما ترتاح الى دره الضرر ولا نظن ان سيكون جزاؤنا في هذه المرة من بعض المتحذلقين المدعين ما ناله سوانا من قبلنا ممن ارادوا الاصلاح ولسنا نحن باولئك الذين يحبون ان يحطوا من قدر الجنس اللطيف فاننا لنكرمه ونجله وان كان هنالك خلل في بعضهن ولا نروم ان نذل اقدار الشبان فنحن منهم فباذلالهم نُذل انما حب تقويم الأوَد حملنا ان نكتب ما كتبناه وعلى الله الاتكال واليه موكول اصلاح كل خلل

واذا بدا وجه الخلاف فحسمه قول يسطره يراعُ اديب
فيكون ان بدت الحقيقة مثلما « قطعت جهينة قول كل خطيب »

(عصام)

٢

من تبرى

هو «ابن جلا»[1] حكى قولا سديدا ورام الحق في ذاك الكلام
«جهينة» فاضل يبغي سدادا (وعذرانيانا) ملك الوئام
«شباط» اخاف ربات الملاهي كذاك «انا»[2] اتانا بالمرام
وسدد رأيهم رجل محب صلاح فتى وخود بني الكرام[3]
فجاءهم باقوال تجلت كبدر الافق في وقت التمام
وقد عصم اللسان بصدق قول نصائح لا تغيظ ذوي السلام
فقال ان يعززه يراع يعزبه كنفس في عصام

كان قصدي ان اوقف القلم عند حد ما كتبته لو لم ار استحسان القوم له وما ناله عندهم من المنزلة الرفيعة وعلمي اني لم اوف الموضوع حقه وقد عرفت بغيتي التي توخيتها للتوصل الى سد الخلل الناشئ عن التطوح في الملاهي وكثرة الميل الى الترف والبذخ وتورط الفتى والفتاة في ما يؤول على البشرية بالانحطاط والذل والسقوط في وهاد الكفر والضلال وانا من تهالك في الدفاع عن الحقيقة وقد رام من امد بعيد اصلاح

(١) هذه اسماء الذين كتبوا في هذا الموضوع
(٢) توقيع احدهم
(٣) اشارة الى ما قاله احدهم في عصام توقيع استاذنا المستعار

هذا الخلل قوم اقر لهم القلم بالفضل وشهدت لهم البلاغة ولم يكتفوا بكتابة مقالة واحدة لكنهم توغلوا في تلك المباحث وكان لاقوالهم صدى استحسان وكادت الفوائد ان تهل لو لم يكسروا يراعتهم اذ روْوا دفاعاً لبعض من يحبون التزلف الى السيدات وتركوا تلك الحالة السيئة تبكي اهلها وقد كنت اخشى ان ارى من احدنا التضاؤل والاحجام اذا ظهرت بعض معارضة او مناقضة لهـذه الاقوال غير اني وجدت منهم ثباتاً عهدته فيهم من قبل وانا عارف ان ليس وراء ما سطروه سوى حقائق واضحة تطالب كل ذي ذوق سليم بالثناء عليهم وقـد علم الله ان عصاماً هام في لغتنا العربية التي هي عنده في مقام سام لا تطالبه الا بحبها والتمسك بعراها وخدمة ابنائها وقـد تناسى هذا الناس والدهر اضطره ان يغازل اربعة جدران غرفته فلا يهمهُ التقرب من احد او التزلف الى بشر كائناً من كان هذه حالته لا يوثر فيه شيء مما يتعلق بالهيام والحب فبدا ما يسطره او يقوله صادر عن قلب بسدد النصيحة لابناء وبنات وطنه ومن جعل الحقيقة ديدنه هونت لديه كل المتاعب وقوت منه جناناً يذود عن حرمتها بما لا يخشى لومة لائم . من انعم النظر في الحالة التي عليها اليوم شبان وشابات هذا العصر رآها مضادة للشرائع الدينية والمدنية ومن تبصر بعوائد هذا الناس وجدها مخالفة لتلك التي هام بها اجـداد ابائنا الالى كان

الادب والدين عصمتهم عاشوا في عصر السلام والطمأنينة اولئك من حسبوا الشرف والعز رائدهم: انهم الالى لبسوا الخز والصوف على هيئة تحمد والادب يزينها ولم تكن على زي يستشف منه التهتك والكفر ونساؤهم كنّ راغبات في ارضائهم مشتغلات باعمال بيوتهن والمثابرة على اصلاح شؤون بنيهن والقيام بما يطالبهن به الواجب المحتوم على كل آنسة وعقيلة انهن لبسن الانسجة الدمقسية وحلين الاعناق والمعاصم بالقلائد والاسورة والحرص على الادب والترفع عما يشين عفافهن يزيد في بهاء ملابسهن وحلاهن والابناء عاشوا قانعين بما يجود به عليهم اباؤهم من المال والكسى وههم عضدهم في اعمالهم والاخذ بيدهم الى ما فيه نجاح الاسر وتقدم البلاد يسيرون بارشادهم ويتمون اوامرهم ولا يجسرون على مخالفتهم الا في ما اغاظ الله . والبنات عشن محصنات يخدمن امهاتهن واباءهن واخوتهن ويعلمن حقاً ان جمال الابنة ادبها الصحيح وكانت الاحداث عند نصائح الشيوخ ولذا اخذت البلاد تتقدم، وتنمو ثروة ساكينها وكل بما عنده راض يعرف منزلته ولا يحط من قدر مكانة من هو ارفع منه ولذا كان السلام ناشراً اعلامه والحب الصادق سائداً في تلك الاعصر والزواج على سنة الله تعالى والشرقي اذا سافر الى البلاد الغربية افتخر بملبسه وماكله ومشربه ولم يهم بتقلده عوائد اهل البلاد التي بلدها وهب انه

التزم السير على بعض مناهج قومها فلم يفتن باستصحابها الى ابناء معشره فيتناساها قبل اجاره وكان ذلك من فوائد التربية الحسنة البيتية وكان همهم درس لغتهم والتضلع منها واحكام فنونها وبعد اتقانها يميلون الى درس الطليانية او اللاتينية التي كانت سائدة في عصورهم ولم نسمع عن احدهم انه ذم لغته وقال عليها ما نسمعه كل يوم ممن نترفع ان نعدهم بعض خدم اتباع عظمائها وتترفع اللغة ان تحسبهم ممن تعتز بهم اما اولئك فقوم جدر بهم ان يقولوا عن نفوسهم انهم عرفوا التمدن الحقيقي فما اجمل تلك السذاجة المسيحيّة وهاتيك القلوب الطاهرة واني لاستمطر صيب الرحمة على اجداثهم، فهم من عزّوا وعززوا وفخر بهم الدين والوطن وخالوا الدين عماد التمدن فمن انكره سهل عنده اقتراف المآثم وظن نفسه انه هو الحكيم المعتصم بالسداد على انه الغبي الفاسد . ان الانسة هي كزجاجة شمسية تنطبع عليها كل صورة ان حسنة او قبيحة والفتى غصن قابل التقويم فاذا لم يُعنَ بتربيته نشأ معوجاً وظل على اعوجاجه والفتى والفتاة هما اهلٌ لقبول الخير والشر صغيرين فان وجدا تربية حسنة في بيت ابيهما شبا على الادب ولم يميلا الى الملاهي ونشآ على ما يريان عليه ابويهما فالابن سر ابيه والابنة نجوى امها وان لم يُسهر عليهما حتى اخر المرحلة الثانية من عمرهما ولا زجرا عما يشين كانا ضربة قاضية على البشرية ففسدا وافسدا ولذا

روعيت التربية البيتية فالمدرسية فالفتاة التي ترى امها جالسة الى المقامرين تقامرهم وتستحسن افعالهم ولا تتيقن ان خلة امها خلة حسنة : واي ولد يشاهد اباه مسرفاً ميالاً الى الجلوس في الحانات ولا يقتدي به ظناً انه مطبوع على الخطة بل اية ابنة تجد والدتها تغير في نهارها قبعاتٍ خمس واحذية من لونها وتابى ان تدأب دأبها بل اي شاب لا يبصر اباه يظلم الناس ويعشر المال فوق ما تسنه الشرائع المدنية وتسمح به الدينية ولا يهيم في مسلك ابيه او اية آنسة تخال امها متهاونة في القيام بواجبات منزلها وابنائها ولا تصبح مثلها اذا غدت عقيلة او اي يافع ينظر اباه محباً للمنكرات فلا ينحو نحوه او اي خود تحسب امها كارهة بعلها ولا تكون اذا اصبحت عقيلة على تلك العادة الزميمة

على رسلكم يا بني الوطن كيف نتمنى ان تكون بناتنا اديبات والتهتك سائد في بعض منازل الاباء ونرجو الا يكنّ مسرفات وقد درسن قواعده على امهاتهن ونطلب اليهن ان يقنعن بما يجدر بهن من الملبس والماكل والمشرب والحلى وقد تخرجن على هذه الفنون في بيت ابائهن ونود ان تحرص الفتاة على القيام بواجباتها وقضاء مطاليب منزلها وتربية ابنائها تربية حسنة وهو مما لم تسمع به في جلساتها ونلومها اذا جهلت الطبخ والغسل وقواعد التربية وامها ما همها سوى تحسين وجهها

واخيراً نطالبها ان تكون كاتبة شاعرة عارفة لغتها ولم يسعدها الحظ ان تتخرج الا في مدارس لا تكترث للغة العربية واوصيت الا تحكم الا غير لغة وطنها لتمزج جمل حديثها العامي كلمة عربية باخرى اجنبية لتروج في سوق زواج بعض شبان هـذا العصر الذين تعودوا مزج العربية بالاجنبية . اذاً فالاباء شاؤوا ان ينشأ الفتى في المدارس اللادينية واطلقوا له عنان الحريـة ورغبوا اليه ان يضرب صفحاً عن درس لغته، وسرهم تركه فنشأ مثل هؤلاء الشبان المتهالك اباؤهم في حب التقلد ... امن فتى فينا تنشط قواه الى التدقيق في مسائل لغته وقـد تعلم كتابة الذوق العصري والملبس العصري والمسالك التي لا اسميها مدنية بل همجية

اننا نلوم العرب الاقدمـين ببعض عوائدهم : أسمعتم او قرأتم عنهم انهم فعلوا مثـل هذه الافعـال الم تكن ازلامهم ليطعموا الفقراء من الناقة الجزور وانتم يا بعض رجال العصر تعنون ان كسدت بناتكم ان تريدوا لهن في البائنة وهم عنوا في اذخار الذكر الحسن لهن وكانت الامهات اذا كثرت بناتهن ولم يرين لهن الازواج الاكفاء فضلن بقاءهن في المضارب ولذلك كان الوأد وقد ابطله الاسلام وديننا نهى عن الاساءة الى احد ويحرم القتل ويامر بالادب والتربية الحسنة الصالحة وان اكثر نساءنا على العفة حريصات يرضين بكل امر الا قبح الاحدوثة

ويؤثرن الموت على ارتكاب ما يحط من اقدار اسرهن فلنتبصرن :

قلت كل ذلك وانا على يقين ان في البلاد امهات كثيرات واوانس لا نكاد نتمكن من عدهن طبعن على الدين والفضيلة والادب وفينا شبان هم عماد الادب والسداد تفاخر العلماء والادباء بادبهم وعلمهم وتقواهم وفضائلهم ورجال هم المثل الصالح ولأن الداء وجد وهو عياء فيجب ان نستصرخ الكتبة وارباب السلطات الدينية والمدنية للمعالجة لئلا يتفاقم الخطب .. وعلى الله اصلاح امرنا ...

لبنان

جولة في شماليه

نشرت تباعاً في جريدة الاحوال سنة ١٩١٢

رايت في هذه الايام والافكار مصروفة الى حب معرفة ما يطرأ على الدولتين المتخاصمتين العثمانية والايطالية والاعناق متطالة الى الرغبة في تحقق ما يحدث كل يوم في ساحات الوغى والابصار موجهة الى تفحص احوال الصين ولمن يكون الفوز ألشعب ام للملك ان ابحث بحثاً وطنياً فيه لمحة من التاريخ لاتمّ ما فكرت فيه ايامَ هذا الصيف الذي جلت في اثنائه في بعض قرى « فتوح كسروان » وصرود وسواحل شمالي لبنان فاعرّف الى ابناء القطرين سماء صافية الاديم وارضاً خصبة وماء عذباً زلالاً . شارعاً بالفـات نظر القارئ الى قصبة كسروان غزير المبنية على شرفة اولها جسر الوادي على مسافة نحو نصف ساعة من جونية مساحة ارضها طويلة وعدد سكانها على ما سطر في الجغرافية ثمانية الاف ونيف تطيب بها الاقامة في فصول السنة الاربعة تجري اليها المياه من ينبوع يسمى « نبع المغارة » بعيداً عنها لجهة الشرق في حدود قرية صغيرة تابعة لها يسمى بعضها

جديدة غزير ينبع بسكينة من اسفل مغارته ويتدفق بغزارة فيتشعب منه نحو خمسين انبوباً كلها موزعة في ارض غزير جارية في قساطل حديدية وماؤه سائغ وعلى ما قال حضرة العلامة الاب « روشاي » اليسوعي في مقالته التي سطرت في المشرق العام الماضي ان ماء غزير ليس بالعذب لكثرة المواد الكلسية فيه وغزير كانت مقر الحكام منذ عهد بني سيف والامراء الشهابيين ومركز القائم مقامين صيفاً شتاء الى الايام التي القيت فيها شؤون ادارة القضاء الى الامير يوسف ابي اللمع في عهد واصه باشا فارتأى جعل مركز القائم مقامية ابان الشتاء في جونية لاسباب لا مجال لذكرها. وسكانها ذوو اريحية محبو الغريب واثمان البقول واللحوم والالبان بخسة لا يؤمها المصطافون لانها ليست من الصرود وتعلو عن سطح البحر من ثلاثمئة الى اربعمئة وخمسين متراً وقد اغرم اكثر اهلها بالمهاجرة فاصبحت الحركة التجارية والصناعية ضعيفة فيها وارضها غير جيدة التربة شيدت اليوم فيها الدور والمنازل الفخمة وبعض واطنيها تصرف افكارهم منذ امس فما قبل حتى اليوم الى امور تجر على القصبة الثبور. ولليسوعيين فيها فضل عميم فمرجع تهذيب العقول اليهم وانارة الافكار والارشاد والاعمال الخيرية انيطت بهم فديرهم المبني في وسط القصبة منزع آمال القوم تغص كنيسته بالزائرين وهم الذين غرسوا بعض ميل في قلوب

الاحداث الى احراز شيء من مبادئ العلم ولا يزالون الى اليوم يجدون في احياء الهمم لتحصيل ما ينير العقل ويهذب القلب ومن غزير يصل السائح عن طريق القلعة الى قرية تسمى « الكفور » جرّت اليها طريق المركبات من غزير وهي طيبة الهواء عذبة الماء صافية اديم السماء يجد فيها المصطاف لذة وراحة وسكينة ومنها يطأ ارض الغينة القرية التي كانت مدينة عظيمة منزع افكار ادونيس على ما يزعمون . يقصدها للصيد والقنص لانها الى اليوم لا تزال محطاً للطير ومرتاداً للارنب يقصد حرجها المعروف « بالحمى » الصيادون فيرون النسور والبواشق والحجال والسمانيّ وغيرها وقد افترس ادونيس في وسط حرجها الشربيني خنزير بري ورسم ذلك المشهد على صخر وهي مزاعم لا نؤيدها ولي مقالة مطولة في الغينة وآثارها نشرت في مجلة الرئيس مطبوعة في الجزء الاول من الزهرات وورد ذكرها في آثار لبنان للاب لامنس اليسوعي واتخذت الزباء لها في الغينة مركزاً ولم تزل الاخربة الى اليوم ناطقة بما قلنا . وهي من املاك « دير القديس عبدا هرهريا » ومما يحزن ان احد سكان قرية « غبالة » وجد كنزاً ثميناً منذ امد بعيد يرتقي عهد نقوده الى ايام الفينيقيين ونقش على كل منها رسم ادونيس ومعشوقته الزهرة فباعه من حبيب مراد وهو رجل من الفتوح توفي فباعه هذا في دمشق من افراد اسرة مسابكي وهؤلاء حملوها الى اوربا

حيث بيعت تلك النقود باثمان باهظة . ولا يزال سكان الغينة الى اليوم يجدون في الاخربة والانقاض نقوداً نحاسية لا قيمة لها ثمينة وقساطل فخار في السهول . وهـذه القرية تعلو عن البحر نحو سبعمئة متر جيـدة الهواء عذبة الماء . قال الاب روشاي عن مائها انه مفيد للمعدة وقد شهد بجودة هوائها الاطباء الحكماء ومنهم الطبيب الاثر الحكيم سوكاي . على ان ينبوعها يتحلب من اسفل منحدر تحلباً شحيحاً ويسمى "عين إبعل" وفي هذه التسمية تذكرة تاريخية لا تخفى على الدارس وطرقها سهلة لا يصعب التجول فيها ولون حجرها يضرب الى السواد وهو صلب وفيها اكمة تنبعث منها رائحة كبريتية وعنبها لذيذ والحياة فيها تطيب . يعمر اهلها فيبلغ اكثرهم حد المئة ومنهم من يجاوزون هذا الحد لكن الضباب اغرم في سمائها فيحجب شمسها عن ارضها منذ الهاجرة الى ما بعـد الغروب ويتكاثف احيـاناً حتى لا يكاد الطرف يرى الا عن مسافة قريبة وكانت طرق الوصول اليها وعرة فانتهز سكانها الفرصة وجروا اليها طرق المركبات من الكفور فسهل عـلى قاصدها الوصول اليها بدون تجشم ادنى تعب يؤمها المصطافون فيلفون راحة وهناء ويغنمون صحة وقوة وبيوتها قديمة حقيرة

وتليها مزرعة تسمى الجورة منها يسلك قاصد حدث الجبة طريقاً وعرة يقاسي فيها انواع العذاب وخصوصاً اذا وصل الى درج

« المشاقي » فيخال له انه يصعد في جبل ولا يأمن الوصول الى اعلاه سالماً وكل تلك المسالك حتى قرية « لاسا » على ما يتصوره القارئ من الوعورة فأسفنا لهذا التهاون الصادر من ابناء كسروان لقعودهم عن استصراخ الحكومة لتخصص شيئاً من الربع المجيدي لاصلاح طرق قوم يشعرون بالتعب ووددت ان يخلق بنا روح الرأفة بالحيوان فنحن مغرمون باتباع ما يضر بنا من عوائد المغرب تاركون ما هو مفيد لنا ولبلادنا . وبعد عناء طويل مدة اربع ساعات متوالية دخلنا لاسا وهي قرية كان اكثر سكانها من الشيعة الاسماعيلية اما اليوم فمعظمهم موارنة بهمة المثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحج . وتمتاز عن قرى الجرود بلذة عنبها وقد كانت مركز الحماديين وفيها بنوا داراً للاحكام هدّمها الزمان ، وبنيت على اساسها كنيسة ، وفي احد اطرافها مشيد مصيف رئيس اساقفة بعلبك وارضها تدر محصولات وافرة اذا اعتني باصلاح تربتها وقد غرست هذه السنة اكثر سهولها من التبغ الاسلامبولي فنمت غرساته وذكت . وعلى مسافة ساعة من لاسا قرية افقا وهي المدينة التي اخنى عليها الذي اخنى على لبد فهدمها ودرست معالمها وقوضت ابنيتها وغدت مسكن بعض المتاولة بعد ان كانت موطئ اقدام ملوك الفينيقيين ومرتاد اليونان ومسرح افكار العظام منهم . بنى فيها الاولون معبد عشتروت وجعلوا المغارة التي ينهال منها بعظمة

وكبر نهر ابرهيم مفرغ مآثمهم وكنانة فظائع شهواتهم حيث لم يكن دين يردع ولا ضمير يمنع تلك هي الارض التي أبى الاله عزَّ وجل ان يبقي لها اثرًا بعد عين فاراد ان يمحو دوارسها ويطهر تربتها كما فعل في ارض صادوم لئلا يبقى للمآثم ذكر فتدنس اقدام ابناء الكنيسة من دوسهم ارض من كفروا وعبدوا شهواتهم فمادت في شتاء العام الماضي ارضها وهدمت بيوتها الحقيرة وسقط بناء عشتروت فلم يبق منه سوى بضعة حجارة ·

منظر يفتت الاكباد ويحقر قوة المرء عند نفسه ويوقف العقل باهتاً حائرًا مصورًا له جلالة الخالق وعظم مقدرته ليتأكد الانسان ان كل حركة تطرأ على هذه الكرة وفي اوساط تلك الاجرام هي بامره . . مدينة افقا بالامس وقرية افقا امس غدت اليوم قاعاً صفصفاً مارت وتشققت تربتها واصبحت مجبولة بالماء الذي كان سبباً في مورها لا غرس ولا كلأ · يشق على الجواد ان يسلك طريقاً واشجار الدلب الباسقة والجوز المسنة الضخمة اقتلعت من جراثيمها والقيت بعيدة عن منابتها . غدت تلك الارض منحدرًا بعد ان كانت مبسوطة لا بشر فيها الا اذا سلك طريقها او ام المطحنة التي عند مصب نهر ابرهيم هنالك في تلك البقعة : عند الصبح وقفت وقد تحركت بي العواطف وتمثلت لي سطوة الخالق في تلك الوحدة عند تلك الاطلال الدارسة في مهد تلك الاودية المنخفضة عند سفح

ذلك الجبل الشامخ المناطح الجوزاء بعلوه الراسي بعظمته على قواعده المتدفق من جوفه ذلك النهر الذي زعم الفينيقون عند هيجانه وافراغ غيظه باقتلاع الاشجار وتدمير المنازل وتخريب الارض ان الههم غضب فاراق دماً فعكر النهر وهذا كان زعم الجبيليين . هنالك تجاه تشعب انحدار شلالاته الثلاثة وقفت وقد خلتني الشاعر العربي يبكي الطلل ويصور حالة الانقاض والاخربة وتحول السكان عن الاحياء وكنت اود ان اجاريه في وصف ما طرأ على افقا لو كان لي فيها ديار ولو فعلت لكان محور نظمي في بيان آثام بني البشر واعلان حقيقة لا تخفى على العلماء : ان التمدن بالدين لانه مدافع الاثم ومناقض الشهوات ومبين للمرء انه ذو نفس تحيا فهو غير حيوان ابدِ

وكانت الرائعة فبرزت الشمس فوق قنة جبل افقا الشامخ والقت شعاعها على تلك الوهاد وارسلت اشعتها الى هاتيك الامواه المتدفقة فرأيت منظراً جميلاً اعادني الى عالم الخيال فقلت

تلك المدينة قد غدت في عصرنا قاعاً بصولة ماء نهرٍ ناقم
هل ذاك فعل النهر ام امر العلي لنرى بأفقا عبرة للآثم
حتى تطهر ارضها امواههُ فتذمّ اقواماً بفعل جرائم
هل يحمد النهر الغزير بارضها ويظل يفرغ غيظه كالظالم
هذي مسائل ليس يعرف كنهها غير الاله وما سواه بعالم

وطال بي الوقوف هناك أنعم وأمعن النظر في احوال

الطبيعة الفكرة في تكوين هذي الارض وقد ملّت الركوبة المكوث واستغرقتني التأمـلات وحسبتني خارجاً عن جسمي منتقلاً الى العالم العلوي فنبهني ضرب اقدامها الارض وعرفت ان وقفة الشاعر لا تفيدني ثمّ فتيلاً فعدت الى وقفة الباحث المدقق وقد ذكرت انه كان بلغني ان البعض يحسبون ان ماء نهر ابرهيم المتدفق من مغارة افقا من سفح جبلها على علو نحو هامة ونصف من حضيضه للجهة العليا الشرقية اصله من «بركة اليمونة» وان مياه بركة اليمونة توصلت الى ارض افقا فمارت الارض بها وقد كنت كذبت هذا الزعم وانا بعيد عن تلـك الارض اجهلها ووجدت نهزة لاحقق ظني فاملت رأس الركوبة وعدت في الطريق التي سلكتها وهي في اسفل انهيال الارض هناك حتى وصلت الى اول ابتداء زحف الارض فصعدت في تلك التربة التي تكون منها اليوم رابية وقد نسيت اني ارسف تحت اعباء العلة المَعدية التي من اجل تخفيف وطأتها خرجت اطلب التقدم من الصحة بصرود لبنان النقية الهواء ولم اشعر ان السير يتعبني وان الصعود ينهك قواي فوصلت اعلاهـا وهناك بان لي الجبل المنحدر منه النهر كما شئت فلم اجد اجمل منه جبلاً في جبال لبنان فكأنه اسطوانة موطدة اصل راسخ وفرع شامخ واكثر طبقاته من الحجر الاصم الاملس فلم اقف عند حد النظر فيه من بعيد بل اردت ان ارقى الى المغـارة

ففعلت بسلم خشبي بل شبه سلم خشيت الا يحملني وانا نحيل ولم يكن طوله كافياً لايصالي الى مدخل المغارة فتعلقت ببابها وقفزت بخفة لم اعهدها بي ايام كنت صغيرًا العب وانشط ولم انشب ان رأيتني ضمن المغارة واقفاً عند مجرى النهر فادرت النظر ملياً فيها فلم ارَ ما كان يقال لي ان هناك رموزًا وتماثيل من ايام الفينيقيين ونقوشاً وصورة الزهرة الى غير ذلك مما لم اجد له اثرًا بل رايت النهر يجري بعظمة من داخل المغارة وتأكدت من ثم ان ماء نهر افقا من جبل افقا لا من بركة اليمونة وانا على هذا الفكر واسدّده حتى يقيم لي الحجة عالم يشفعها ببراهين لا يمكني ردها فارضخ

والعلماء يثبتون ان الينابيع تتكون بالمطر المنهمر المتجهة امواهه في الارضين المتغلغلة في الاخاديد حتى تتصل الى الطبقة الصخرية حيث تجد هناك منفذًا تنحدر منه : فعندي ان ذلك الجبل الشامخ ذا الاصل الممتد والمساحة الطويلة يتكون مما يصيبه من الامطار الغزيرة اعظم مما ينحدر من مغارته وقد تبين لي بعد الامعان ان بعض مياهه تغلغلت في اخاديده ولم تجد منفذًا فافرغت غيظها في ارض افقا وقد ابت ان تجمد في مكانها ومنذ تلك الاعصر المنصرمة الى يومنا هذا تمكنت من ان تفعل بارضها ما فعلته وهو رأي لا يعارضني فيه الواقف وقفتي هناك الباحث بحثي . على اني لست ممن يتشبثون بآرائهم او

يدعون اموراً يجهلونها وبرهاناً على اثبات قولي هذا ان لو بحث ذوو الخبرة في كنه المسألة وتجلت الحقيقة لهم وردوا رأيي ببراهين مقنعة اعود عن فكري هذا وقد حقق لي الرأي هذا الذي ارتأيته مرآي الجبل الذي ينحدر منـه ينبوع « مار سركيس اهدن » فهو مطابق بعض المطابقة لجبل افقا ولا اظن ان بركة اليمونة بعثت بمائها الى جبل اهدن . . . . فلا اسمع القوم الا يقولون ينبوع العسل وعين اللبن من بركة اليمونة وينبوع الحديد من بركة اليمونة ثم قالوا ان ماء مغارة جعيتـا الذي منها نهر الكلب من اصل ماء ينبوع العسل وقالوا ان لجنة جر الامواه من الينبوعين المذكورين الى ارضي كسروان مانعها اعضاء اللجنة الذين جروا امواه نهر الكلب الى بيروت وهي اقوال تنقل على سبيل التقليد وليس في القوم من يبحث هذه الابحاث المفيدة ونحن قاعدون عما يتعلق بفوائد ارضنا وراحة سكاننا والجهل سائد وقد خلقنا لنميل الى اراء زيد ونتقيد بافكار عمرو فهلا انتبهنا الى الابحاث التي خاض فيها علماء الغرب وكشفوا القناع عن احوال سمائهم وارضيهم وسماء وارضي سواهم من الامم فاصل بحر النيل استغرق اعصراً طويلة بحث فيها علماء الغرب وامه السياح وبسطوا اراءهم وظل العلماء الباحثون يترددون في تصديقها الى ان قام احد اباء الرهبنة اليسوعية فكشف تلك الاوهام التي موه بها من قبله افكار القوم وتوصل الى معرفة اصله ونحن نهتم

بمعرفة ما يحدث في الصين ومنا محازب للانكليزي وبعضنا للياباني وتحدث بيننا المشاجرات العنيفة والمسألة لا تفيد فهلا تتجدد فينا او بالاحرى تخلق الارادة وينشأ الاستقلال الذاتي فاي مشروع ابتدئناه واتممناه فهذه امواه نهر ابراهيم التي اصلها من مغارة افقا الم ينل امتياز جرها الى جبيل والبترون المرحوم رزق الله خضرا منذ عهد واصه باشا وقد دعي الى وضع الحجر الاول ذلك المتصرف وارباب الاحكام والاعيان وقضي على رزق الله خضرا وهو لاهٍ في حفر نفقه في بيروت وبقيت المياه جارية في نهرها ودفن الامتياز قبل دفنه وكذا يكون شأن من حصلوا امتياز جرهم امواه ينبوع اللبن والعسل الى ارض كسروان . وغدا اذا شرعوا قام عمرو يعارض وانتصب بكر يناضل فتبقى ارضوك يا لبناننا النكد الطالع غير مسقية .. هي ارضك التي قال عنها الكتاب ارض تنبع لبناً وعسلاً اصبحت تنبت عوسجاً وقرطباً فحبذا لو قام باحث مدقق يميط اللثام عن اصل هذه الينابيع فيفيدنا فائدة تامة وحبذا سعادة اهل لبنان وقد اثبت اقوالي ببؤس لبنان ما نراه اليوم من العقبات القائمة في سبيل اتمام هذا المشروع المفيد :

وكانت الهاجرة وانا في ذلك المكان في ارض افقا فانتبهت اني في تلك الساعة لم اذق طعاماً بمؤلمة فراغ المعدة من الغذاء وهي اول مرة منذ عشرين سنة عرفت فيها ما يقاسي الجائع

فتأكدت ان هواء الصرود اللبنانيـة يقوي الضعيف وينعش مدّات الاشاجع فامتطيت الركوبة وسلكت الطريق المؤديـة الى « العاقورة » فمررت بقرية « المنيطرة » وهي حقيرة ليس فيها سوى دار واحدة مبنية على النسق الجديد فأبيت ان آخذ لنفسي راحة وكأنَّ ذلك البليل انعش فيَّ قوتي ولسوء طالعي لم اجد هنالك شاة تدر لاتمكن من اخذي الغذاء وقد حرمني الله بعلتي المعدية سوى البانها فسرت قاصداً « العاقورة » بين جبال ووهاد فوصلت اليها بعد ساعات طوال وهي تبعد عن « لاسا » مسافة اربع متوالية فراقتني تربتها وقد لذَّ لي ماء ينبوعها فهو كعين الديك صفى ماءها الراووق: اني على غير اراء الذين يزعمون ان ماء العاقورة قارس مستدلين بقوة اجسام سكان تلك الارض وسرعة غضبهم الى غير ذلك فقد حكمت عكس ما حكموا فتلك المياه عذبة سائغة ولسكان العاقورة مآثر يجب ان يحمدها القوم اليهم فهم يردون هجمات المتهجمين على ارض كسروان وهو حصن ممنع للقطر وقد نشأ من العاقورة كهنة افاضل افادوا: ثم سلكت الطريق الى حدث الجبة ولم يبقَ بين القريتين سوى حقول مزروعة قمحاً وذُرى ودخلت في « خراج تنورين » بعد ساعتين سرتها (في خراج العاقورة) في منحـدرات وسهول ورواب وكان الطفل اذ وصلت الى الحدث بعـد مسافة خمس ساعات من افقا

حدث الجبة هي قرية اليوم. كانَ لها شأن في ايام اليونان وفيها آثار ارضية تدل على دخولهم اليها وهي من اجمل قرى شمالي لبنان واجودها مناخاً الا اهدن : ارضها مبسوطة سهلة يجد فيها الساري راحة لا عناء وهي تشرف على البحر من مكان يسمى المشنقه او « المشلقه » بينه وبين رأس الكنيسة في اول « الغينية » وبين « الشوايا » من قضاء المتن شبه فمن رأس الكنيسة ترى رؤوس جبال قبرص وسواحل كسروان واكثر قرى صرودها وترى البحر منبسطاً كصحيفة امامك ومن « الشوايا » ترى اكثر قرى المتن ومزارعها وسواحل ذلك القضاء ومن «المشنقة» ترى طرابلس والبحر وسواحل قضاء البترون واحدة فواحدة وتظهر لك « اهدن » بجمالها « وبشراي » بجنائنها « وحدشيت » بخضرتها : في حدث الجبة مكثتُ شهري العطلة المدرسية وقد اسعدني الحظ ان تشرفت بمثولي امام غبطة سيدي البطريرك في دير سيدة الديمان فرأيت من ميله الابوي الى من طبع على حبه واجلال مكانته وعطفه ما حملني ان احسد الامة على هذه النعمة التي لا اخالهم يجهلونها وقد راقني ان اجد في ارض شمالي لبنان صرحاً مشيداً كالقصور الساخرة ببهجات الزمان على النسق العصري سرني اني رأيت بطريركنا لا يألو جهداً في تخليد ذكر لابناء طائفته فدير الديمان لا يقل عظمة عن دير سيدة بكركي ويظهر بهاؤه وقوة بنائه الدير القديم فلكل عصر رجال ولكل جيل اميال

ورأيت ان انتهز الفرصة من وجودي في تلك النواحي لامتعَ النظر في هاتيك المناظر الطبيعية وابحث في تلك الارضين بحث المؤرخ فاخبرت ان جبلاً غربي قرية قناة شُقَّ وسطه منذ سنتين وانه في السنة الماضية بعُد الشق وتمادى الانثلام واصبح الجبل جبلين فقصدت البقعة وحيث لم اتمكن من الوصول اليها راكباً لوعورة المسلك ترجلت وسرت على الاقدام اسعى في البحث عن سر ذلك الانقسام فكان في الحكم نظر لا يجوز لنا التسرع في اثباته فليس هناك اثر ماء وليست الارض مبسوطة والجبل ملتحمة ارضه التحاماً تاماً واكثره صخور ضخمة فعدت بعد اعمال الفكرة وانا غير بات في الحكم ورجحت ان السبب في زحف الطبقة السفلى من اصل الجبل سبّب انقسامه الى شطرين ورجعت الى الحدث من طريق اخر لارى مغارة مبنية في سفح جبل على مقربة من عين تدعى عين « السنديانة » يقال لها مغارة « دوملز » وللقوم روايات شتى تتعلق في اصل بنيانها فمن زاعم ان لصوصاً قطنوها وهم بانوها ومن ظانٍ ان رهباناً نسكوا فيها وليس في اليد كتب تاريخية تحقق لنا القضية وهذه مصيبة العلم والفنون في هذه الارض وفي الخامس عشر من شهر ايلول تأكدت ان المصطافين في ارض الارز برحوها ولما كنت مغرماً بالوحدة والانفراد قلت حانت الساعة فركبت آماً تلك البقعة

الجميلة التي قصدها السياح والعلماء والشعراء من كل صقع وتغزل فيها المجيدون من عرب وعجم واكبروا عظمة الخالق وهم كثيرون منهم لامرتين الشاعر الفرنسي الذي بقي هنالك اياماً فمررنا في حصرون وهي قريــة اصابت حظاً من الرقي وشيدت فيها الـدور الفخمة وقصدها المصطافون وفيها جنات مثمرة وبقول لذيذة وماء عذب . فبذعون . فبقرقاشا . وكانت هذه منذ عشرين سنة ونيف ملكاً غير مطلق لاسرة «باخوس» وما عتم ان باعوها من المرحوم اسعد بك كرم وهذا باعها من احد افراد أسرة آل صعب بثمن اثني عشر الف ليرة وهذا باعها ممن يطلبون الاقامة في تلك القرية الجيدة التربة الكثيرة الغلات وفيها عين ماء باردة لذيذة سائغة وقد اصبحت القرية اليوم زاهية بأبنيتها المسقوفة بالقرميد وجنائنها المخضلة . واليوم قد اصبحت ارضها لا تباع بمئتي الف ليرة . ثم تراءت لنا «عين بقرا» وهي اعلى قرية في تلك الانحاء يقطنهافئة اشداء الجسوم اقوياء البنية وقد غمر الثلج بيوتها في الشتاء المنصرم حتى لم يبقَ للناظر ان يميز ان هناك ابنية

ومن ثم دخلنا «بشراي» فوجدنا مجالاً لنمضي فيها ثلاثة ايام بوجود اصدقاء كرام لنا . ورأينا ارضها خصبة وجنائنهـا متعددة وغراسها نامية وماءها غزيراً جداً اصله من ينبوع يسمى «نبع قاديشا» ينحدر من سفح اكمة مرتفعة على مقربة من الارز ينهال بغزارة وتردد الاودية صدى خريره وهو جدير ان تتكون

منه الكهربائيـة ومن اخر يسمى « نبع مار سمعان بشراي » ينبعث من حضيض رابية غير بعيدة من الارز وهو غزير جداً وباردة مياهه الى حدّ أنا لم نشعر بما يضاهيها مما ذقنا من امواه سواها في صرود كسروان والبترون يتشعب منه بضعة انهر كلها تجري في ارض بشراي فلا يكاد المرء يرى بيتاً من بيوتها خالياً من المياه وشيدت فيها كنائس جميلة ودير قديم للاباء الكرملتان اكثره حفر في صخر جبل تراه عند دخولك عن طريق الديمان والفينا فيها اسراً كريمة وكهنة افاضل يسهرون على خدمة النفوس ويقتدى بتقواهم وفيها شباب اذكياء راغبون في العلم غنموا قسطهم منه والكاتب الشهير الخيالي جبران خليل جبران احدهم وزرنا الارز الغابة التي هي كعبة غزل الشعراء التاريخية الوارد ذكره في الكتاب المقدس يؤمه القوم من مشارق الارض ومغاربها . الارض التي تفوح منها ريا الطهر وينبعث روح الفضيلة والتقى .السماء التي هي مهاب الريح الالهي المقوي الاجسام : المكان الطافح بالبركة والقوة مرتاد افكار المتخيل فاجتزت المسافة التي هي نحو ساعة بشوق لا يحدّ وطاب لي الشعر فنظمت الابيات المنشورة في الجزء الاول من الزهرات

ثم غادرنا الارز فبتنا في بشراي ولما اصبحنا قصدنا اهدن عن طريق تسمى « البغلة » فسرنا نحو ساعتين ونصف ساعة حتى وصلنا الى تلك القصبة فقصدنا تواً دير القديس سركيس وهو مبني

على مقربة من ينبوع يتدفق بغزارة من حضيض جبل رأينا فيه شبهاً لجبل افقا كما ذكرنا . فاطلنا الوقوف عند اصله الراسخ نبحث في هيئته وتدفق المياه منه فعزز ذلك المرأى رأينا في ما اثبتناه في محله من كلامنا عن جبل افقا والماء المتدفق منه ويسمى « الينبوع » نبع مار سركيس ، وهو غزير يسقي جنائن اهدن الجميلة

ان اهدن واسعة الاطراف كثيرة السكان آهلة بهم وشوارعها متسعة وتجارتها غير متأخرة واهلها قوم ذوو بأس وحمية

وزرت كنيسة القصبة فراقني بنيانها وهي تعد من اجمل واكبر كنائس قطرنا وامامها ميدان يكشف على ارض اهدن ويشرف على البحر وبعد ان قضيت فرضي الديني ذكرت ان هناك جثة بطل لبنان يوسف بك كرم فطلبت ان اراه فادخلني احدهم وكشف غطاء عن نعش فرأيت جثة لو احتفظ بها لكانت الى اليوم كما اخرجت من مدفنها في نابولي جثة لم يجسر الدود ان يقترب منها فقد خشي صولة من راع الابطال وهو معتصم بحبل الله تعالى مستمسك بوصاياه وقد شاء تعالى ان يبعد الفساد عن تلك الجثة التي اغرمت بالطهارة[1]

خرجت من الكنيسة وانا خارج عن حواسي لشدة ما الم

(١) دفنت اليوم في قبر فخم جديد ضمن الكنيسة بأذن غبطة السيد البطريرك تلبية لرغبة الاهدنيين

بي من الاسف وزرت بعض اعيـان القصبة ثم قصدت سيدة
الحصن ويجب ان اصف عظمة تلك الكنيسة الحقيرة البنيان وما
للعذراء من الفضل عند اهل اهدن وكم اجابت نداءهم : وجدتها
مبنية على شرف من الارض على رأس جبل مرتفع يطل على
طرابلس والكورة وكأنه امام قام في وسط السهول البعيدة
خطيباً : وجهت اليه الانظار والى اقطار تلك البقع الممتدة ثم دخلت
الكنيسة وقد عراني خشوع لم اشعر به قط الى تلك الساعة
فجثوت وصليت طويلاً ضمن ذلك الكهف في تلك الكنيسة
التي هي من اقدم كنائس الموارنة في لبنـان وقد جدد الدهر
اسفي بانحطاطنا عن الغرب فلم ارَ صورة « سيدة الحصن اوالحسن »
بل رأيت صورة معلقة من الصور التي تباع بنحو غرش ونصف
الغرش قريبة العهد وهناك بعض سرج موقدة فقلت تعلّم ايها الجيل
العشرون المحافظة على الآثار القديمة ... بَدَرَ الى فهمي ان
لو كانت الصورة الاصلية موجودة فكم كان للناس بالنظر اليها
عزاء وعبر يؤديها الفكر الى القلب . ذكرتني تلك الزيارة
تلك الكنيسة برواية شهيرة غريبـة في بابها مثلت منذ خمس
سنوات على ملعب كلية القديس يوسف من نظم الشاعر العالم
الاب كودار سليل الرهبنة اليسوعية عنوانها السيدة في لبنان
وكان تمثيلها ابان تلك الحوادث المشؤومة التي طرأت على الطائفة
وقام فينا فتية راموا ان يجروا الى الطائفة بالتمدن الحديث

الذي اساسه رفع العقيرة على ذوي السلطة سوء العاقبة مثلت تلك الرواية صبر البطاركة على الاضطهاد واعانة الله اياهم وعود الشعب اليهم والعمل بارادتهم وعجائب سيدة الحصن وتمسك اهل اهدن بدينهم وايمانهم وحبهم للبطاركة والاكليروس وقرع الجرس عند اشتداد الازمة كل ذلك رأيته بالفكر في وقفتي هنالك

ثم اممنا دير القديس انطونيوس قزحيا وهو قديم عهده كان على شكل محبسة ولربما هي البناية الحقيرة التي شاهدناها قبل وصولنا الى الدير المخصص بالزائرات وزاد اتساعاً في اواخر القرن الثامن عشر ونمت املاكه ودخل هذا الدير لا يقل عن ثلاثة آلاف ليرة من ارضيه الشاسعة وكنيسته مغارة متسعة طويلة عريضة وجدرانها الثلاثة الشرقي والقبلي والشمالي منحوتة والغربي شيّده الاب بطرس «بجدرفل» احد تلامذة الاباء اليسوعيين في غزير اذ كان رئيساً للدير وهو من الحجر «السماقي» وبابها جميل جداً فيه اطار حجري منحوت مجوف على شكل غرسة كرم وثلثا سقف الكنيسة من المغارة والثلث الاخر عقد وارضها مفروشة بالرخام وفيها صور جميلة تمثل تلامذة القديس وصورة بديعة للسيدة العذراء مكتوب على درجها « تعالي يا عروستي من لبنان » اما الحلل الكنسية الموجودة هناك فهي فوق الوصف مئات من البذات (والغفارات) والوف من الاواني الفضية ومما يلفت النظر عكاز اهداه احد الامراء الغربيين الى الدير وبذتان من نحو

منة وخمسين سنة صنعها يزري بكل نسج حديث . . على اني لم اسرّ بهذه المناظر وقد علمت أنّ آثاراً قديمة فقدت كان يجب ان يحتفظ بها فلو حفظت الاكوس التي كان يصب فيها الخمر وقت تقديس الرؤساء الاولين ولو حفظت البزات التي كانوا يلبسونها هم لكانت عندي افخر مما رايت واثمن في نظر التاريخ مما شاهدت انما الآفة هي المنتشرة في اصقاعنا ولولا المرحومان البطريرك الدويهي والمطران جرمانوس فرحات لضاع كثير مما عرفناه في هذه الاقطار

وقد جلت في كل انحاء الدير في طوابقه جميعها ودخلت المكان الذي فيه المطبعة السريانية التي احضرها الاخ ساروفيم الشوشاني البيروتي من رومة ونقلت الى دير قزحيا سنة ١٨١٥ وخصص محلها شرقي الدير وقد خدمت لبنان بمطبوعات جليلة بالسريانية والحرف الكرشوني وآخر من تولى ادارتها الاب مارون ايطو الرئيس الحالي وهو صوّر رسمه بيده وقد اعجبني لما فيه من الاحكام وقد رايت انه جرّ الى محل المطبعة الماء من ينبوع المغارة الذي على مسافة ربع ساعة من الدير بآلات خشبية تشبه بعض آلات ادارة جر مياه نهر الكلب الى بيروت فأعجبت بهذه المهارة

واعظم فضل في نشأة الدير يرجع الى السيد الذي لا يمحى ذكره المطران جرمانوس فرحات فقد كان ساكناً لجهة الممر الشرقي من الدير ولا يزال يعزى اليه

والدير فسيح الاطراف كثير الغرف اكثرها حفرتْ في

الصخر ومنظر الدير من الخارج اجمل من الداخل فسقوفه غير مرتفعة وغرفه صغيرة

اما منزل الزوار فهو على النسق الحالي مبني غربي الدير واما المغارة التي يقيم فيها المجانين فهي وعرة موحشة مظلمة رطبة اذا دخلها الصحيح اصيلاً جن والمعافى مرض على ان شفاء المصابين مقرر فعجائب القديس يقر بها ابناء الدين والاراطقة لانهم يشاهدونها عياناً ولا شك فانه قديس كبير وعجائب الله في قديسيه ولو كتبت لالفت كتاباً ضخماً ولو صرف العناية الرهبان بما يفيد ابناء الامة فبنوا ملجأ للفقير وميتماً لاحسنوا صنعاً والامران ضروريان

وعند الطفل تركنا الدير وعدنا الى بشراي عن طريق اخرى فمررنا بحدشيت وهي القرية التي تسمى الكاملة لجودة ارضها وغزارة مائها وفي صباح اليوم الثاني أممنا الحدث فحيينا مقر السيد البطريرك عندما تراءى لنا باكرام وكان الخامس والعشرون من ايلول حيث علمنا بوجوب عودتنا الى مركزنا في بيروت فسلكنا طريق الجروم ومررنا بقرى ومزارع جمة حتى وصلنا « المسيلحة » الارض التي كانت مقر الشذاذ وقطاع الطرق واصبحت اليوم ممر العربات وبتنا في البترون بعد مسير ثماني ساعات متواليات ومن غد تلك الليلة عجنا على جبيل المدينة التاريخية التي تظهر فيها الاثار اليوم ويجب ان تبقى للبناننا العزيز انشاء الله

الى سيدة لبنان

نشرتها مجلة «المسرة» الغرّاء سنة ١٩١٤ افتتح بها خطاباً مطوّلاً بلسان اعضاء جمعية القديس منصور دي بول الزبرية في ١٤ ايلول عند اصل تمثال السيدة العذراء في حريصا

تمثال مريم من لبنان حياكا ... اقطاره وبنو لبنان ابناكا
ليس الكواكب هذا الحسن مشبهة ... كلا ولا البدر في ذا الحسن حاكاكا
بين الخلائق من بدوٍ ومن حضر ... ما كان من بشر في المجد ضاهاكا
يا ايها الجبل الراسي على جبل ... سامى بمريم في الاعصار افلاكا
يا ايها العلم الخفاق نتبعه ... ظلل من الارض ما تختار انحاكا
يا مجد لبنان صن ارضاً بك افتخرت ... وصن بنيها وبارك كل من جاكا
وكن على شرف من ارض نشأتنا ... غوثاً لنا وعزاء كان مبداكا
يُزعزعَ الفلك الرامي على سمك ... وانت راس كما ذا اليوم نلقاكا
دعامة الارض لا جرمٌ ولا بشرٌ ... يحيا وينشا اذا لم يعطَ نعماكا
ركن السماء عماد الناس قاطبةً ... على البرية رب العرش ولاّكا
قل للذين على الايمان قد نشأوا ... اني اخضعُ اقيالاً واملاكا
راجعت باس بني الالحاد فادحروا ... وما نصرت على الابرار فتاكا
اليك ارفع عن كل تحيته ... وقلب كل من الزوّار يهواكا
شعور ودٍ يضاهي عرف نكهته ... طيباً ابُ هبّ ريح الشرق ريّاكا



تحية للارزة

ونظم هذه الابيات تحية للارزة العلم اللبناني نشرت في الرقيب يوم عيد استقلال لبنان سنة ١٩٣٠ تحت رسم الارزة

قد حاطكِ العلمُ المثلث غيرةً ... كي لا تمسَّ سناءك الارواحُ
واصان رونقك البهي بياضه ... وهو الرقيب فما عليك جناح
فالا يغبط مشرقاً تيمته ... ولك البسيطة مسرح ومراح
والارض تعشق والسماء ومن حوت ... وعليك يحنو القلب والارواح
مجدٌ للبنان الكبير وراية ... كمدَ الزمان ومجدها وضّاح
دومي كما الارز المهدّد اعصراً ... فنيت وظل كياده يجتاح

الى تلامذته الذين طبعوا الزهرات

الجزء الثالث

اجتمعنا نحن تلامذتهُ فئة الخطابة وقد انضم الينا عدد وافر من سائر الفئات في يوم تذكار عيده واظهرنا له رغبتنا انا عولنا ان نطبع الجزء الثالث من الزهرات وقد انشدناه قصائد وقرأنا خطباً كلها في تهنئته بتذكار عيده فشكر لنا وفاءنا وذكرنا الجميل وحضنا ان نحل السلطة واجابنا بهذه الابيات

في ١٩ اذار سنة ١٩٢٦

ماذا عليَّ اذا اجبت من نشوُوا ... على ولائيَ لا اثمٌ ولا عارُ
ماذا عليَّ اذا ما ملت عن ثقة ... ميلي اليكم وما في الحب انكار
ماذا عليَّ اذا ما قلت انكمُ ... في شرعة الحب ابرارٌ واطهار
ماذا عليَّ وقد محّصت ودكمُ ... ان قلتم انكم عندي لاقمار
اذا نظرت اليكم رحت احسبني ... وسط الجنان وحولي ثمَّ ازهار

وان سمعت كلاماً من مناطقكم   ظننت تسمعني الاقوال اطيار

انتم علمتم جناني لا يخادعني   ولست ممن تعاموا اوهمُ حاروا

هو اجتهادي فهل تثنيه مرزأة   وقد علاه من الافات تيار

احببتكم حب من يهوى نجاحكمُ   ولن ازال اذا ما كرّ أعصار

ان عابنا احد في الحب قلت له   نحن النضار وهذا الكير والنار

محض مودتنا تعلم ماآثرنا   وانت نكس سفيه الرأي مهذار

***

قد شاقني انني في كل مدرسة   يلفي تلامذتي نجحاً قد أمتاروا

يلفون اكليل غار غبّ جدهم   ويذكرون جميلي حيثما صاروا

وقد جنيت جميل الذكر اطيبه   وحدُه انه شهد واثمار

غادرت بيروت والتذكار قاطنها   ولي حنين الى بيروت سيار

تركت فيها تلاميذاً عشقتهم   وانهم لودادي والوفا اختاروا

يا حبذا «زهراتي» عرف ودهم   ذاك تنم في الفيحاء ديار

وفي طرابلس علمت ناشئة   في شرح جدي اراهم قط ما حاروا

وانتم خيرهم والحب ميزكم   وان ودكم سام ومختار

طبعتم الثالث الطلاع أنجدة   وقد مشيتم على ما قبلكم ساروا

فكان فعلكم كالمسك نفحته   وكل قلب لهذا المسك عطار

ذودوا عن الحب نزع الدهر حرمته   فانه لكم رسم وتذكار

تحية العلم الفرنسي

ساعة رفع على دار الحكومة في طرابلس الـ ٢١ من تشرين الثاني سنة ١٩١٩

مجد الفرنسيس قد عزت مواضعهُ   وعدل امتك المشهور وازعهُ

يسيح في مطلع الاقمار منتشراً   ويبهر الارض والافاق ساطعه

يدور في الفلك الممتد مفتخراً ... على البدور ويزهو ثم لامعه
وتحسد الشمس ما يبدو بمشرقها ... من ذا البهاء ولا ترضى تراجعه
ويغبط البدر نوراً لا يقنعه ... رمي الظلام سدولاً وهو قاشعه
فاصله راسخ تهوي بمنعته ... قوى المعادي ويهوي من ينازعه
وفرعه شامخ تعنو لرفعته ... رؤوس رضوى ويشقو من يدافعه
ان الملوك الأُلى راموا تضعضعه ... هانوا فعزّ فلاموا من يصارعه
قال الزمان له قولاً يردده ... اجيال قوادهم أللّه مانعه
تشوقته ربوع الشرق واتحدت ... على هواه وناجته سواجعه
وبات وهو على ما رام يطلبه ... حتى تبدت لعينيه مطالعه
يا ايها الشرق شمت اليوم بارقه ... فته دلالاً وقاوم من يدافعه
يا ارز لبنان صافحه على ثقة ... انت الوفيّ وانت الحق شارعه
لبنان حي حبيباً بتّ ترقبه ... فقلبنا بهواه الحبّ جامعه
يا آل سورية المحمود مقصدكم ... قد تمّ مأربنا او صح واقعه
قصوا على أمم المعمور قاطبةً ... ثبات عزم هو التاريخ سامعه
يحفظ لكم ذكره ما هل بادرنا ... وبان في مطلع الاقمار بارعه

الى فخامة

الجنرال غورو

ونظم هذه القصيدة ورفعها اليه بلسان الرقيب وقد نشرت فيه بعد انشاده اياها في دار الحكومة في طرابلس بعد عودته من باريز سنة ١٩٢٢

غورو رجوعك بعد الشوق اولانا ... بأساً يهدد طرف الدهر يقظانا
ان كنت تيمت في باريز افئدة ... فكم تتيم في لبنان اجنانا
يا يوم عودة من نهواه منقذنا ... جدّدت عهداً القدر الحب صوّانا
بتنا نسائل عنه البحر لا جزعاً ... بل اشتياقاً الى لقياك عنانا

قد بشر البرق سوريا بعودتــه ❊ فامطر الفرح السكان تهتانا
فخفّ بالنبإ الميمون عليتنـا ❊ الى لقــاك زرافات واحدانا
الفوك نلت الذي يهواه موطننا ❊ مما نرجي وما نبغيــه معوانا
يا حبذا كلّ ما أوليت من نعم ❊ حوالب الخير تجري فيه غدرانا
بيروت تختارها فضلى مرابعنـا ❊ تميرها من سحاب المجد هتانا
امجاد بيروت ما مرت على فكري ❊ الا غدوت طروب القلب جذلانا
يا حبذا اشهرٌ مرّت على عجل ❊ وما صحبت سوى الاعيان خلانا
عشرون عاماً تقضت مثل ثانية ❊ ما كنت فيها سخين العين حسرانا
تركت فيها تلاميذاً عشقتهم ❊ كما تعشقت في الفيحـاء شبانا
إفضال بيروت لا ننفك نذكره ❊ كما ذكرنا لهذا الثغر احسانا
تبني طرابلس الامال ترقبهـا ❊ حتى تنال من الاسعاد رضوانا
وتستطير الى العليـاء تعشقها ❊ ولا تناسى قبيل الامس عمرانا
كانت معالمها من قبل شاهقة ❊ تلفي تجارتها البلدان خزّانا

* * *

اليوم جئت الى الفيحاء زائرهـا ❊ كالغيث تنعش اغراساً وافنانا
فسرّح الطرف في جناتها طرباً ❊ فلا يُقرّ عـلى مرأى له بانا
بينا يحومُ على الاشجار يسبرها ❊ تلقاه يصعد في اجبال لبنـانا
فخصها بامور لست تجهلهـا ❊ حتى تنال بك الرقي الذي كانا

* * *

يا ايها القائد السامي بحكمته ❊ عصرا يخالــك سحبانا ولقمانا
تطير للحرب لا تخشى بوائقهـا ❊ والموت يحصد تحت النقع فرسانا
وتحسب العِثير المعقود اعمدةً ❊ سرادقاً لنزول القوم ضيفـانا
تخال لعلعة البارود أغنيـةً ❊ والخيل توقعها في الصول الحانا
فلا تبالي بجيش الخصم مزدحماً ❊ وقد صبت عليه الموت نيرانا

يمناك قدمتها لله محرقةً	حتى تجيب دعاء الحرب عجلانا
فبان بأسك يوم الحرب رائده	جام المنايا الى الاعداء ملآنا
ولاح رأيك وقت السلم تنشره	راحاً وروحاً وتأميناً وريحانا
فلا برحت لسوريا سعادتها	تبيرها نعما تُعلي لها شانا

ونظم هذه القصيدة ورفعها الى سيادة الحبر المفضال المطران انطون عريضة تهنئة بتذكار عيد سميه سنة ١٩٢١ بعد ان انشده اياها مطبوعة في محفل حافل

المرء يعشق من عين ومن اثر	والحب يفتق ميل القلب والبصر
والقلب حرٌ طليق ليس مرتبطاً	بغير شرعة رب الكون والقدر
والعشق والمرء على الاجنان يحكمها	وما عهدت فؤاداً قدَّ من صخر
علمت حرّاً بما يهواه مفتتناً	ان كان من ثمر او كان من زهر
او كان خوداً احصاناً شاق منظرها	هيفاء تبسم عن ثغر من الدرر
او كان من بشر او كان من ملك	او كان من وبر او كان من حضر
او كان نجماً بدا في الليل مخترقاً	سجف الظلام يهاوي طلعة السحر
هو الغرام باشكال منوعة	مما يمنع او ما حل للبشر
أمّا الحرام فما شرعي يسوّغه	لكن أجيز هياماً جل عن صغر
فمنهل العشق لم أورده عاطفتي	ان كان منهمراً او غير منهمر
وقد عشقت وعشقي من تغبطه	اعماله الغر وقت اليسر والعُسر
الحبر انطون من ذاعت مآثره	كالشمس تشرق بين الريح والمطر
وقفتَ في حومة الحرب التي خبرت	ابناء أمك يوم الضيق والخطر
فكنت عوناً على الضراء توقفها	عن ثورة الحقد والاضغان والضرر
فانت خصم هوى الظلام تدفعه	برايك المشبه الصمصامة الذكر
اتعبت جسمك حتى بت تحسبه	مما يسيء الى اعمالك الغرر
وقد ضننت على الايام تشغلها	براحة ساعة في دولة العمُر

زهدت في زخرف الدنيا وقد بسمت   لك السعادة في الإقمار والسّرر

على الفقير حبست المال تسعفه   حتى يصول على الحدثان والغير

فتحت كفك للايتام تنفحهم   كنفحة الطيب بالخيرات والبدر

وما اكترثت لامجاد واوسمة   لان طبعك يأبى سورة الفخر

بنيت مجداً طويل الفرع شامخه   يسمو السماك وديعاً غير مفتخر

هذا ثناء يحيك الشعر بردته   في يوم عيدك رسماً غير مندثر

أقسمت للعشق أيماناً محرّجة   حبي لانطون حبٌّ غير منحصر

اما بعدتُ فاني منك مقترب   بالقلب والروح والاشواق والفكر

علمتَ من قبل ان جئنا طرابلساً   اني وفيٌّ وشعري صادق الخبر

نظمت مدحك في اسفاره صُوراً   كأنها الوحي في آيٍ من السور

على الوفاء يقيم الحرّ مفتخراً   بما يفيد وما يبقيه من اثر

كذا اقمنا على ما رام محتدنا   نحكي الحقيقة في سر ومجتهر

اذا افتخرت فبالادواء تألفني   كأنني هدف للداء من صغري

فذاك سقمي وقد قاويت مجتهداً   فانت عوني على الاوصاب والكدر

افديك حبراً ابي النفس أمحضه   وداً يحاكي بهاء النجم والقمر

فاسلم عزيزاً قرير العين مغتبطاً   واهنأ بعيدك نبلغ غاية الوطر

ونظم هذين البيتين وقد حفرا على الصليب الذهبي الذي قدمه ابناء الامة الى سيادة الحبر المفضال انطون عريضه يوم عيد سميه سنة ١٩٢٠ وكان له اليد الطولى في نشر تلك الفكرة

ابناء مارون في الفيحاء شاقهم   ايلاء انطون ما يهواه من صغر

أهدوا اليه صليباً صيغ من ذهب   عربون حب صحيح خالد الاثر

انت في كهولتك فتى

وقال وقد نشرت في الرقيب سنة ١٩٢٣ « من الفاخوري الى الحداد »
وهو الشاعر المطبوع الفاضل المجيد الخوري يوسف الحداد

ماذا عليك اذا علاك مشيب ... وعليك من برد الشباب قشيب
ولم التشاؤم والقريحة برّة ... بالعهد وهي الى حجاك تثوب
افكان مثلك للقريض شبابه ... او ان مثلك بالاصول مصيب
قد كنت شيخاً في الشباب موقراً ... وعلى المشيب الى الشباب تؤوب
يا صائغ الادب المخص حلية ... عن كل جوهرة النظيم تنوب
سموك حداداً وقد اثموا اليـ ... ـك وذنبهم لم يغتفره اديب
قد شاقني منك القريض ممتعاً ... ونكرت انك ما حييت يشيب
حلت بعقوتك البلاغة والنهى ... واليك ما عشت البيان حبيب
توجت رأسك بالبياض مهابة ... والبدر تاج دره مرغوب
بزغت بفوديك الفضائل غرّة ... ببياضها عرف العفاف يطيب
فاليك مني ما وهبتك حجة ... واعلم كما عهد السداد اصيب

***

اما انا فالشيب رصع هامتي ... والسقم يألف والهموم تذيب
بي اغرمت نوب الزمان وصرفه ... ولقد هوتني علتي وخطوب
قد شبت في شرخ الشباب وهمتي ... ما شابها دهر دهاه ينوب
مثل السجين مؤلم ومحجب ... واذا سررت فبالدروس طروب
لا شيء يفرح غير جد ناهض ... آلفته وعلى نداه اجيب
ونجاح طلابي يجدد قوتي ... وبهم أطرب والفؤاد يطيب

***

احرزتَ مما للشباب نشاطه · وهواك مما بالشيوخ يهيب
فاسترجع الشكوى التي رددتها · فالى نشاطك قد ترامى الشيب

***

غالبت (شربلك) الوفاء فتيمته · وغدا كأن فؤاده المغلوب
في ذمة الحب المقدس (شربل ٌ) · ابداً يجاهر انك المحبوب
كم طالب جحد الجميل وانه · قد جاء منه المقصد المطلوب
صوتٌ امامك بالمودة صارخٌ · وبما حويت بذا الانام خطيب
جدّ المودة بيننا وقديمها · خير الوداد وركنه المحجوب
أظهرهُ حتى يستفيد بفنه · ويذل عنه عاذل ورقيب
واهنا (بشربلك[1]) الوفي فحبه · عذب على اصل الوفاء سكوب

من الحداد الى الفاخوري

فاجابه « الى الفتى ـ الشيخ » نشرت في الرقيب سنة ١٩٢٣

« ماذا عليك » وفيك تلقى الشيب · شيخاً فتى عقدت عليه قلوب
شيخ يطل على الشباب كانه · غيث على زاهي الرياض سكوب
وفتى يغالب بالاله زمانه · والعقل اغلب والهوى مغلوب
« انت السجين مؤملاً ومحجباً » · كالمسك فت فضاع منه الطيب
« قد شبت في شرخ الشباب » وانما · يمضي الحسام اذا علاه مشيب
واذا دهتك مصيبة فاصبر لها · فالحر مرمى للعنا منصوب
عوفيت الا من هنا وسلامة · والعيش رغد والفؤاد طروب
عش للشبيبة مشرقاً في ليلها · « وعليك من ثوب الشباب قشيب »
عرفتك في تهذيبها استاذها · وعرفت ان ملاكها التهذيب

---

(١) احد تلامذته الامناء.

فوقفت من فوق المنابر زاخراً ولكل عضو فيك منك خطيب
وجلست ما بين المحابر مشرقاً ولك الرقيب على البلاد رقيب
والصدر بحر واليراع سحابة والغور نجدٌ والبعيد قريب
ايهٍ اديب العصر فالوطن الذي قد قام عنه لا ينام اديب
قد كان ميتاً ثم عاش وانما يبقى المسير وطرفه معصوب
يخشى عليه السم فالعجل الذي ذبحوه يوم معاده ملسوب

***

« اما انا فالشيب صرّع همتي » ولناهش اللذات فيّ نيوب
لا تغريني بالقريض فقد مضى زمن الشبـاب وفاتني التشبيب
خمدت بصدري جمرتي ورمادها في الرأس وقيت اللهيب لهيب
انعى اليـك مطارقي ومنافخي فلك البقاء ولا عنا وخطوب

***

خلفت (شربل) وهو بيت قصائدي فتغنَّ فيه ليطرب التطريب
ان كان في الفيحاء صوتاً صارخاً فلـه غناء في الشآم لعوب
وانا به في قربه وبعاده يعقوبـه وبغـيره ايوب
وهو الوفي وان يعبه لائم فكما يعيب سموألاً عرقوب
سميته الموصول والصلـة الوفـا كن انت عائده وفيك يطيب

عن البترون — الحداد

لما زار فخامة المندوب السامي الجنرال غورو الفيحاء ووصل الى مدرسة الفرار رحب به بخطاب ترجمه له حضرة رئيس المدرسة الفاضل الاخ ليونس فراقه ووقف وصافحه ورفع اليه اذ ذاك هذه القصيدة ونشرها الرقيب سنة ١٩٢٠

نظمي القريض بليغاً وجهه حسنُ اجدته بالغاً شعر الالى فتنوا
مضمن مدح غورو من له خشعت أَلترك والمجر والالمان من حصنوا

والشرق عزٌ وقد وافيته حَكَماً … تجوده نعماً ليست لها منن
لبيك نوليك اوطاناً وأفئدةً … وامة عزمها يقوى ولا يهن
لبيك نوليك لبناناً وعزتهُ … وفيه تفديك ارواحٌ لها ثمن
قوادَ باريس هل باتت مداركَكم … تنيلكم رفعةً يسمو بها الزمن
ام كان سيفكمُ البتار محرزكم … نصرا عجيباً به قد حارت الفطن
فقتم فلاسفة اليونان واتجهت … الى علومكمُ الابصار والاذن
مؤخرٌ مجد آثينا وصولتها … عن مجد باريز والرومانُ واليمنُ
ابطالكم ادهشَ الابصار حولهم … فقيصرٌ بسلوِّ بعدهم قمن
وبأس اسكندر يُنسى بصولهم … وعزم هنبرج في تحديده جبن
اسوار فردين صدّت ما تهددها … وعندها زلت الالمان فامتهنوا
والترك قد حصدوا ويلاً بغدرهم … والدردنيل به قد طارت المحن
خانوا فرنسا فسدّت في وجوههم … سبل النجاح وقد اوهاهم الجون
ونالهم قتل لبنان تهورُهم … في وهدة الزيغ واشتدت بهم احن
فحبنا لفرنسا هاج حقدهم … به «جمالٌ» على لبنان مضطغن
«وانورٌ» ناقمٌ اذ خال منزعنا … دسيسةً وبها الافكار تفتتن
نستنصر البحر والاجسام واهية … والبحر لا رائد فيه ولا سفن
نستنصر الجوّ والآفات تحسمنا … والجوع يفتك والاعراض ترتهن
هدّوا عزائمنا بالجوع وامتشقوا … سيف انتقام فقدّوا هام من وهنوا
فلا لعاً لهم فالجور مرتعهم … والعسف ديدنهم والافك والفتن
سادت فرنسا وها انا نعانقها … عناق عذرة لا هُون ولا أسن
وبشر البرق لبنانا بنصرتها … وانه لفرنسا الصاحب الختن
نحن الالى شاقها منا مودتنا … والله يعلم والاعداء والسكن
فالارز فاخر ما يسمو بمنعته … ونحن نفخر من عاشوا ومن دفنوا
يا ايها القائد المغوار تجمعنا … مودة وولاءٌ صانه الوطن

« غورو » البسالة والاقدام خطته ... والدين والعلم والاحكام والسنن

عينت حاكمنا فالرقي نامله ... والـدهر ناظره لم يعره وسن

فصل عليه وخضعه اذا ظهرت ... إساءة او بدا في فعلـه ضغن

ترجم قريضي فيه ألفة ووفا ... حوى الحقيقة تزهو ما بها غبن

ان عيب قيل بليغ ليت تنهمه ... فالنقص فهمهم يا ليتهم زكنوا

او عيب حبي فرنسا قيل وارثـه ... عن امة حب باريز لها سنن

واهنأ بعيدك فالايام باسمة ... وكل ما قلته لا يجهل الفطن

الوئام

نشرت مجلة المباحث الغراء هذه القصيدة مصدّرة بهذه الكلمة لما وقع عيد ميلاد السيدالمسيح عند الغربيين وشارك المسلمون النصارى باقفال السوق وحضور حفلات العيد في الكنائس ودور الاسقفيات . وقد اجتمع كرام المسلمين والنصارى في الدار الاسقفية المارونية انتصب العالم الفاضل يوسف افندي الفاخوري مدير الدروس العربية في مدرسة الفرير بالثغر ورئيس تحرير جريدة لبنان الشمالي وقرأ قصيدة غراء نرويها شاكرين

سنة ١٩٢٣ في ٢٥ ك ١

اذا اتحـدت قلوب واستحبت ... فـلا ارض تغير او رجواء

وان رام الزمان بهـا فرياً ... تضعضع او تداركه الفناء

اخال الود غب الحب يبدو ... وتنميه المسرة والعناء

واعقد معضل يسطو عليـه ... يحللـه الاخوة والولاء

فان يبـد اتحاداً مستقياً ... على حب يفاع لا شقـاء

يصون ودادنا ويذود عنه ... ويجرم مـا يحلله الرثاء

وان يبد اتحاداً مستطاراً ... يسبب ما يضر بمن يشاء

***

لفيحاكم لكم بلد خصيب يسود بها التآلف والرخاء
لفيحاكم لنا بلد حبيب ابينا ان يلمّ بها البلاء
ولبنانٌ لكم سكن وفيّ وفيه ما تغبطه السماء
صفاء مودة وخلاء فكر واجنان يهيم بها الاباء
عرفتم اننا قوم حبيب لكل فضيلة فينا لواء
لنا ارض نحتاها بجدّ وطاب لنا بارجاها البقاء
وبدر ساطع يحكي قلوباً صفاها لا يعادله صفاء
وشمس لا يحجبها غمام وان ينشر يبدده الهواء
وماء حده خمرٌ شمول واين الخمر منه والرواء
شربناه واياكم زلالاً وماء واحد حاء وباء
كلانا واحد والارض وحد كذلك واحد جوٌ وماء
اتى الاقوام تقسيماً مضراً نكرناه فايده القضاء
خلقنا امة لو شاء ربي كما الايات تنبي لا مراء
فربك لم يشأ هذا ولكن يؤامر ان يجمعنا انضواء

***

يسر فرنسةَ انا اتحدنا فسنتها الاخوة والسواء
ارادت ان نكون على وئام وتأبى ان يفرقنا الصلاء
نحبّ فرنسةَ حباً قديماً على تعزيزه هرقت دماء

***

احبائي وجدنا ما نشدنا فنشدتنا يحيط بها الرجاء
نشدنا جوهراً حباً صحيحاً وما عرضاً يراجعه اعتداء
فان نعشق فخير مستمرٌ علاج للشقاق به شفاء
وان نجزع نُفد جسماً عليلاً ولا داء نخاف ولا وباء
فان الحب مطويٌّ عليه معاني السلم يشرحها الاخاء

وان الحب جرماً لا تراه عيون الناس يُخفيه العداء
وان الحب محسوس خفي صبيح الوجه محصه النقاء
خفيف الروح لا جسم ثقيلُ سليم الميل رائده البهاء
وان الحب معنىً ليس ذاتاً كنور فالقلوب به تضاء
فصونوا الحب لا نفصم عراه وان نفعل فراح وارتقاء
وان نفعل نعش عيشاً هنيئاً وتخدمنا السعادة والهناء
اليكم ودنا يبدو بهياً فلا ضغن يشين ولا عناء
لمجد ان نشيد ما رسمنا فيسمو الفرع ما رسخ البناء

فتاة الشرق

هذه القصيدة انشدها على مسرح راهبات المحبة في الفيحاء اذ مثلت بنات مريم رواية سميراميس الاحد في الـ ٢٩ من نيسان سنة ١٩٢٣ وكان قد مرنهن على تمثيل الرواية

أفتاة الشرق الرفيع عمادا لا ترومي تلهياً ورقادا
أتودين راحة في خدور ام رُقيًا وعزة وجهادا
لا تخالي ترفعاً بحجول انما العلم زين الاجيادا
ان حسبت الفخار لبس حرير وجمالا يستأسر العبادا
وبهاء ورقــةً ودلالاً وحديثاً مرققاً مستفادا
وجلوساً وسط الجنان وبعداً عن مغاني الحجى وعما افادا
وخروجاً الى السهول صباحاً وانعكافاً على الملاهي ارتيادا
وقعوداً عن كل شغل مفيد ينفع الجسم والحجى والفؤادا
ذاك جهل عذناك منه أعلمي اذ لك بالعلم تنفعين البلادا
إزعمي انَّ بالسجايا بهاء وهدى فاخر الحسان الخرادا

***

افتاة الغرب الذكية اسمى ... همة منك ام اجلّ سدادا
ان فتاة الغرب الاريبة تدعى ... فبعلم حوتــه كان العتادا
انت قد فقتها يارب صنيّ ... هـــدد الظلم سيره فتهادى
حرم الشرق من رُقيّ فتاة ... وفتى وامتصّ الهدى والرشادا
قد اباد العلوم والمجد حتى ... اصبح الشرق طالباً مستفادا
نجح الشرق قبل كل بلاد ... وبجور الملوك نال الفسادا
قتل الظلم علمه وهــداه ... فغدا جاهلا يعاني الادا
ذهب الجور اننا بين عدل ... ففرنسا قد راجعته فبادا
قد وجدنا في العصر هذا مجالا ... فيه يرقى بسلم من ارادا
فتريــد الفتاة خير خطيب ... وهي توحي الى القلوب مفادا
مثل (ميّ) (واليازجية) نبغي ... ان نراها تهوى العلوم مرادا
شعر (ميّ) (واليازجية) شعر ... كنظيم الخنساء اعني مجادا
يا مها لبنان المجور عليــه ... بصروف الزمان فيما ارادا
يا مها لبنان الاوانس انا ... لا نريد الفتاة فينـا جمادا
بهجة الـــدنيا بالفتاة بعلم ... واجتهاد يستمطر الاسعادا
وهزار على غصون المعالي ... وملاك يبــدد الافسادا
ما الفتى منها افضلُ وحرمنا ... نحوهم هذا حيث كان اعتدادا
فهما صنوا عزة وعـلاء ... وشقيقا جــد يبيد الرقادا
فالفتاة الحصان شعلة رشدٍ ... بل هلال يسامر السهادا
أسأل الرحمان القدير سداداً ... للغواني وللشباب رشادا

ونظم هذه الابيات وانشدها المسيو « دي بوي » في الفيحاء سنة ١٩١٩

نحييك بالاسعاد يا حاكم القطر ... ونرجو بك الخير المفيد ذوي الخبر
فانت من القوم الذين نجلهم ... وباتوا عـلى الودّ المحّض والبر

وتعلو بهم بين البرية امة ... ونهوى لهم كل السعادة واليسر
ويسمو باعمال الفرنسيس قطرنا ... ونفدي رجال الخير في السر والجهر
فاجدادنا عاشوا على الصدق امة ... نفاخرُ في اعمالهم دولة الدهر
وعاشوا على حب الفرنسيس امةً ... وقد نالهم منها ممالأة الغدر
عهود ولاء لا يزعزع اسها ... صروف وتبقى في البنين مدى العمر
فنحن لكم قوم يفدون قومكم ... بارواحهم يومَ الكريهة والعسر
وانا ضروب الموت نجرع كأسها ... فداء فرنسا لا نحيد عن الصبر
وقد مات منا الف الف مخالم ... بحب فرنسا بالمجاعة والقهر
ونلنا ضروب الظلم حيث ولاؤنا ... بعهد فرنسا لا يضعضع بالمكر
وشمنا بروق الخير يلمع نورها ... على قطرنا بعد الكوارث والضر
بحكم فرنسا بان نور رجائنا ... وعشنا حياة لا تعكر بالشر
هنيئاً لنا فالدهر صافح سعدنا ... ونلنا بكم خير المآمل والبشر
فكونوا لنا نور العدالة والهدى ... فنحيا لكم جنداً نحنُّ الى النصر

واجاب تلامذته فئة البيان في كلية القديس يوسف على ما رفعوه اليه من التهاني سنة ١٩١٢

تقولون لي ان القلوب جميعها ... تميل الى استاذها كحبيب
تقولون لي انت الذي قد افدتنا ... وانت الذي تحيي موات قلوب
وانت الذي قومت منا تأوداً ... وانت الذي اسيتنا كطبيب
وانت الذي هذبت كل نقيصة ... وانت الذي اوضحت كل غريب
كلام لذيذ شاقني واسرني ... كلام هواه قلب كل أريب
فان كان حقاً ما سمعت من الثنا ... فاني وجدت اليوم كل نصيبي
وان كان ميناً ما يقال فانني ... غنيٌّ بنفسي عن مقال كذوب
ارد عليكم ذي القصائد كلها . ... وحسبي رضيت العام حمل صليبي

اعيذكم بالله ان كلامكم لصدق وان الصدق شأن أديب
فانتم بنو قوم احبّ صفاتهم وانتم اعزائي وصدّ كروبي
فسيروا كما سار الذين وددتهم تلامذتي بالجد دون وجوب

ازاع اعضاء لجنة من اللبنانيين المهاجرين اعلانا فيه يطلبون اياتاً من الشعر لتحفر في قاعدة تمثال يقيمونه ذكرى لاعمال الفينيقيين وعليه صورة فتاة سورية تحييه فنظم هذه الايات

اعمال فينيقيا يمثل مجدها اثرٌ يفتي صنعه الاهراما
اولاك من خاضوا البحار واوجدوا اصل الحروف وعرّفوا الاحكاما
نشروا التجارة في البلاد واوضحوا اسرارها وَلَهُنّ بتن نظاما
عمّروا القفار وخلفوا اثارهم خير العجائب تعجز الافهاما
ذا الرسم مثل مجدهم وفنونهم وفتاة سوريا تبث سلاما
فترى البرازيل القديم زمانهم وتخال ما قد اوجدوا الهاما

واجاب تلامذته فئة البيان على ما انشدوه اياه من التهاني في بيروت في كلية القديس يوسف يوم تذكار عيد شفيعه سنة ١٩١٣

أكنت فيكم كاستاذ يجاملكم كي يستميلكم بالمدح والكذب
او كنت فيكم كاستاذ يوبخكم حتى يقال مهيب خير محتسبِ
او كنت فيكم اباً يبغي تقدمكم حتى تشبوا على الاحكام والادب
افرغت جهدي وما قصرت معتذرا بما بذلت من الاتعاب والنصب

***

كم مرة خلتمُ اني اعاملكم كالخصم صال على الاعداء عن كثب
كم مرة خلتمُ اني اونبكم عسفاً وجوراً بلا داعٍ ولا سبب
كم مرة خلتمُ اني امدّحكم حتى اخفف ما تحوون من صخب

ثم افتكرتم فبان الوهم منقشعاً وناب عنه وداد غير محتجب

***

كم مرة قلتم قاس يطالبنا بكل فرض طويل شأن مغتصب
كم مرة قلتم يبغي مثاله عن ظهر قلب كما سطرن في الكتب
ثم افتكرتم فقلتم لسنا ننصفه هو المحب لنا هذا مثال ابِ
وربما قائل هذا استبد وذا احواله فيكم تدعو الى العجب
ثم اختبرتم فبان القول ترهة ونال منكم جواباً ضافيَ العتب

***

رشفت مدحكم صفوًا بلا كدر وكان سكري به لا خمرة العنب

وصدر خطاباً بهذه الابيات القاه في جلسة عامة في بيروت في الـ ٢٨ من نيسان سنة ١٩١٠

على الله اتمام المقاصد كلها وحسب كريم ان يقول ويفعلا
اذا المرء لم تقنط من الجد نفسه فلا بد يوماً ان يقال توصلا
ومن كابد الاتعاب وهو بهمة ينال الذي يبغيه ندباً مبجلا
ومن عاش في الرشد المسدد فعله جديرٌ بأن يُصغى اليه ويُسألا
على المرء ان يسعى لنفع بلاده فيقضي فروضاً شأنها ان تكملا
فان هو لم ينجح فليس بذنبه وان نال ما يبغي فيبلغ مأملا

وقال مخاطباً المرحوم الاب رباط اليسوعي بعد تمثيل رواية البرامكة في كلية القديس يوسف

لك حاك من نسج القريض قصائدًا خير الذين احبهم او خاطوا
رفعوا الستارة عن هواك واسقطوا عنه النصيف وعن ولاك اماطوا
صدقوا وان الصدق راية محفل اعضاؤه القوا الوفاء وحاطوا
اني اهيم بشعرهم واصونه واذود عنه بما سمعت احاطوا
لو ان كل اللطف يُرسم صورة صورته فاذا هو الرباطُ

واذا يقاسمك المدير دماثةً فكـلا كما دالاتها خطاط
واذا القلوب تغيرت عن ودها فكلا كما تلك العرى ربّاط
ان البرامكة الالى احييتهم برواية فيك الفخار اناطوا
ورواية الخنساء سار بذكرها آل البيان بعصرنا او حاطوا
لا زلت رفاع المعارف والنهى وسواك اوديـة الخطا هبّاط

سنة ١٩١٠

وقال مؤرخاً دار الوجيه الشيخ ميخائيل رقول التي بناها في اجبع سنة تدربه المجاله سنة ١٩١٧ اجابة لطلبه وفي اعلى الرتاج رسم القلب الالهي عفور

يا دار ميخائيل جرجس شادها في ارض اجبع قرة الانظار
اعلى مبانيها ووطـد اصلها واجاد في احكام كل جدار
فبدت لعين الناظرين «خورنقاً» ورأى بها الاضياف خير مزار
واذا تحوجيَ فيك يادار الرخا عمّا سما بـك في ذه الاقطار
فجواب من ارّخوك لقائـل قلب الاله شعار هذي الدار

سنة ١٨٩٤

وقال مفتتحاً خطاباً القاه في دار الحكومة في طرابلس في ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ بهذين البيتين

ابناء باريز ان الله ناصركم وسيفكم يوم دفع الضيم صمصام
من منكم الرجل المقدام نذكره وكلكم في مجال الحرب مقدام

وقال مجيباً اعضاء المحفل الخطابي الذي كان مديره واعضاء المحفل النحوي الذي كان مديره ايضاً في كلية القديس يوسف في بيروت على ما رفعوه اليه من التهاني يوم تذكار عيد شفيعه سنة ١٩١٢

لكل امرىءٍ من دهره ما تعودا ولي عادة فيكم سلكت لتحمدا
ولي عادة في الحب جلّت مكانة وما انقدت هاتيك فيّ لتخمدا

ولي عادة في الحب باتت تروقكم ... غنمت بها حب القلوب مسددًا
ولي عادة في الحب ليس يذمّها ... عذول ولو كان العذول توجدا
ولي عادة في الحب ليس يشينها ... ختال ومكر او حياد عن الهدى
ولي عادة في الحب بارك شرعها ... اله بها اوصى لتُنحى وتُقصدا
فانّ ودادي لا يموت بميتتي ... وان وفاني لن يموت ليلحدا
تهون على قلبي المصائب والاسى ... اذا ظِلت الّي بالمحبة موردا
يهون على قلبي مصابي وعلتي ... لان دوائي الحب يوقي من الردى
قبلت التهاني من فؤاد احبة ... وابقى لها طول الزمان مرددا

وقال نظم هذه الابيات بلسان ام ثاكل : سنة ١٩١٠

يا قلب أم صدعته نكبة ... والصبر معها لا يفيد وينفعُ
صالت عليك من المرازئ وانتضت ... سيفاً جرازًا ليس ينبو يقطع
ورمتك عن صرف الزمان وخطبه ... وسهامها تصمي الحشا وتصدع
فسطت على (جان) المنون فجاءةً ... فتكت به وقضاؤها لا يدفع

***

عبثاً محاولتي السلوَّ فانني ... اشقى اللواتي نالهن تفجع
واهاً لام ثاكل محزونة ... تقضي الليالي في البكا تتوجع
واذا رأت وجه الصباح تذكرت ... وجه الفقيد وذاك ما تتوقع
وتصورتــه في الصباح محدثاً ... وتصورت منه المقالة تسمع
وتذكرت مرأى الوليد فراعها ... ذكر يردده الاسى والادمع
هرعت اليه بالتصور وارتمت ... تطفي الغليل بقبلة وتودع
وتزيد في ترديد ذكر فقيدها ... وتفيض في ذاك الخيال وتوسع
ويبين من ذاك الخيال جماله ... فتظن بدرًا في سماها يطلع
فتقول يا وجه الحبيب فتنتني ... أنى اللقا ومتى الينا ترجع

هصرتك من روض الشبيبة يافعاً ... ريح المنون فليتها تتضعضع
والوعتي غض الاهاب فقدتـه ... برّاً عفيفاً للدماثـة ينزع
ويلاه ما هذي المصيبة انها ... هدّت قوايَ وبان منها المصرع
انهل دمعي والحشاشة ودّعت ... جسدي وقلبي بالمصيبة موجع
لولا اتقائي من اسير بشرعـه ... كان القنوط اجل ما اتوقع
اجني عـلى نفسي المنون تخلصاً ... مما اقاسي بالاسى بل أجزع
لكنْ أُسلم للمهيمن نكبتي ... وطريقه في كل حال اتبعُ

وقال مهنئاً سيادة الحبر المفضال المطران انطون عريضه انشده اياها ساعة تعليق نوط جوقة الشرف على صدره في ساحة التل في ٣٠ اذار سنة ١٩٢٤ (١)

قد حدث الغرب من اوليت من نعم ... وشاق مهجرنا · اياتـك الغررُ
وسار ذكرك في الامصار قاطبة ... وباحث الافق حتى تطرب الزُهر
وزان قلبك طهر لست أنكرَه ... وانه في فسيح الارض منتشر
وزان صدرك نوط حاطـه خلق ... كالروض زيّنه الانوار والزَّهر
اولاك فضلك مجداً انت تحقره ... لانـك الملك الامجاد تحتقر
وقد سدلت على الدنيا وزخرفها ... سجفاً تبين ما قد ستر البصر
لله درك كم قاويت منتصراً ... والحرب صالت على الابطال تنتصر
لله درّك كم دافعت مقتدراً ... ما كان فيه عـلى اقطارنا ضرر
لله درك كم آويت من لجؤوا ... الى مقرك والامراض تنتشر
تلك الفضائل قد اولاك موردها ... عواقب الفخر من فوق الالى فخروا
ونوطك الشاهد العدل الذي فخراً ... قوم الذين بما تحوى قد افتخروا
نهوى فرنسة وهي الحصن ملجؤنا ... مـا راح يختال في تسياره القمر
ويغتد يعلم هذا النوط يطربه ... صدرٌ كصدرك فيه البر ينحصر

(١) نشرتها مجلة المباحث الغراء في عدد نيسان سنة ١٩٢٤

القائد الخابر الاخلاق خبرته ... مواقف الحرب حيث الخزي والظفر
فيُحرز النصر ميموناً بحكمته ... والرأي يفعل ما لا يفعل الذكر
ولم يفته من الاقدام اوفره ... وفي شجاعته لا يوجد الخطر
فاهناً بنوط يعزّ المرء قيمته ... والمرء تُعظمه الاعمال لا الدرر
الله يعلم من اولاك وزنته ... قد زدت فيها زنات نالها البشر
لبنان يطرب في ذا اليوم مبتسماً ... والارز ينضر والازهار والشجر
وانني شاعر بالبشر اسكرني ... والقلب يبرحه الاحزان والكدر
قد صنت ودك مثل الدر احفظه ... وقد علمتَ ولستَ الان تختبر
لا زلت تلقى جزاء الخير تصنعه ... خيراً جزيلاً ويحكي فضلك العُصُر

وكتب هذه الابيات في صدر مجموعة رفعها تلامذته فئة البيان الى حضرة مدير الدروس العربية في كلية القديس يوسف الاب الفاضل لويس معلوف مدير جريدة البشير الغراء سنة ١٩١٠

اهدي اليك قصائدا بحروفها ... وكذا مقالات كما قد سطرتْ
فيها عواطف من سبرت طباعهم ... تبقى حقائقها كما قد اظهرت
وتظل تذكر من يهمك امرهم ... وترى غراس ولائهم قد أثمرت
فاهناً بعيدك فهو اين طالع ... واجل ايام زهت بل ازهرت

حادثة تاريخية

اتاة القديس افرنسيس دي سالوس شفيع المحافل الادبية في كلية القديس يوسف في بيروت

قصيدة نظمها وقرأها احد اعضاء المحفل الخطابي الذي كان مديره في مجلس عام يوم تذكار القديس افرنسيس سنة ١٩١٢

اذا سلك الابرار نهج مسيحهم ... توعّدهم صرف الزمان مهدّدا

وحاجزهم دون الوصول لمقصد ... وراجعهم شر الطغاة منكدا
وبانت لهم دون الجهاد كوارث ... والفوا كؤوداً تسترد لهم يدا
وهاجت عليهم شرة الكفر غيلة ... وابلت بلاء كي تزيغ عن الهدى
كذا نال من هذي الزبون شفيعنا ... نصيباً اليماً وامتهاناً مجددا

***

تصدّى له خصم سليل عشيرة ... كريمة احساب فارغي وازبدا
وسطر اقوالاً تضمن شتمه ... واوزعها في القوم مثنى وموحدا
فلم تلقَ حظاً عندهم وتأكدوا ... سفاهة ضلّيل يروم له العدا
وزاد اعتبار الحبر بعد انتشارها ... ورفع قدراً في الكرام ومجدا
فجاشت عليه مرجل الخصم وارتأى ... مذلة إفرنسيس عهداً وموعدا
تأمم توّاً دار ذاك بليلة ... ترامت بها الظلماء مهوى ومصعدا
ورافقه شذاذه وكلابهم ... وصالوا على دار الشفيع تعمدا
وراموا ولوج الدار في الليل عنوة ... وقديسنا كان الفراش توسدا
ولكن رووا دون الدخول رتاجها ... فهاجوا وماجوا واستحلوا تهددا
ودقوا دفوفاً بل نحاساً ليقلقوا ... سكينة «دي سالوس» ضغناً مجردا
وقد رجموا ابوابها وزجاجها ... فحطّم قسم ثم زادوا توعدا
فرام ذووه ان يشتتوا شملهم ... ويصلوهمُ ناراً تسوق الى الردى
ويشكو الى الحكام أمر زعيمهم ... فيلقى بما ابدى عقاباً مشددا
فقال دعوهم كان ربيَ غافرا ... لاعدائه ذنباً اشرّ وانكدا
فهم يجهلون الحق والحق عندنا ... وليس حليم ضرّ خصم تقصدا

***

فمرت على تلك الحوادث اشهرا ... وقديسنا يرجوا رشاد الذي عدا
يصلي الى الرحمان حتى يرده ... عن الغي كي يهوى السداد ويقصدا
فاوفق يوماً ان رآه بمسلك ... فاسرع «افرنسيس» خطواً مسددا

وعانقه والحب مــلء فؤاده ... فحرك فيه ما يُلين الجلمدا
فخرَّ على اقدامه بتذلل ... وقال اراني بالهدى متوقدا
خطئت الى ربي وحبر مسيحه ... فاطلب عفواً ليت تعطي فتحمدا
فاولاه كل الصفح وفقاً لشرعةٍ ... تسامى بها البر التقي وحبّذا

***

كذا يصفح الابرار عمن اهانهم ... فيلفون في تلك الديار تسودا

صدى

ليحي الدين والمبدأ

نظمها بلسان الشبيبة البيروتية تأييداً لقصيدة الشاعر المطبوع الاب يوحنا طنوس الفاضل المنشورة في البشير عدد ٢٠٢٧ بمناسبة تمثيل رواية اليهودي التائه سنة ١٩١١ وكان اذ ذاك رئيس جمعية الشبان

أزف الشكر والحمدا ... واهدي الحب والودا
«لطنوس» الذي ابدى ... قضايا قد حوت شكرا
لشبان سموا قصــدا ... لشبان علوا مجــدا
بشعر صادق اسدى ... سداداً ينبــذ الجحدا
فعز الحق وامتدا ... وذل الزور وارتدا
بشعر ابرم العهدا ... بشعر انجز الوعــدا

ليحي الدين والمبدا

ليفرحــه الذي سرا ... بشعر منه قــد درا
لبــان الخير فافترا ... به شباننا طرّا
فصالوا صولة تُشرى ... وكل بالحجى ادرى
فاعلوا للهدى قدرا ... ونالوا المجد والفخرا

وحازوا الفوز والنصرا   وشادوا للإبا قصرا
وصاحوا كلهم جهرا   وقالوا بيته الشعرا
ليحي الدين والمبدا

رأى للذم اسلوبا   نذير المين محبوبا
به قد نلتَ مرغوبا   لامر كان مطلوبا[1]
فبات الهم محجوبا   وعاد الذم مقضوبا
وقول كان مكذوبا   ينيل العز اسكوبا
ويبدي الافك مقلوبا   ويغري البطل مغلوبا
فينفي الناس ماريبا   ويهوى الكفر مرعوبا
ويحيا الدين والمبدا

ستوليك المراغيبا   اكاذيب بها عيبا
فكن ما شاء مسبوبا   فليس البدر محجوبا
وليس الحق مسلوبا   وما ما قيل منسوبا[2]
الى صدق ومحسوبا   ستلقى الحزم معصوبا
ستلفي العزم شؤبوبا   وتلفي الجد مصبوبا
فيلوي المين معطوبا   ويعلو الصدق محبوباً
ويحيا الدين والمبدا

فاي الناس يفتنّ   بما قد قال يستن
فذا عجز وذا وهن   وذا حقد وذا ضغن
وذا مين وذا فنّ   من الافك له تعنو
رقاب الكفر او تحنو   فلا قول له وزن
يسيء الفضل او نحنُ   فان هاجوا وان شنوا

---

(١) في الابيات اشارة الى حوادث لا مجال الى ايضاحها
(٢) ما بمعنى ليس اي وليس الذي

علينا غارة سنوا بها شرًّا وما ضنوا
وان ناحوا وان غنوا وان حقوا وان ظنوا
يعزّ الدين والمبدا

يعز الدين هادينا طريق الرب فادينا
يعز الدين مهدينا الى اسمى مبادينا
اذا هاجت اعادينا فان يبدهُ تواتينا
يعز الخصم سابينا ويمسِ الشر رامينا
بذل ليس يغنينا فتيلًا او ينجينا
من الضر فيشنونا ذوو الكفر ويبلونا
فهبوا يا موالينا وعندي ان توافونا
لصون الدين والمبدا

فصاحوا صيحة الكفر وصحنا صيحة البر
فآبوا بالفتى الغرّ وابنا بالفتى الحرّ
فنالوا خيبة القهر ونلنا عزة النصر
فقالوا والملا يدري بانَّا امة تجري
على دين لها يذري بقدر الاثم والشر
على دين لها يفري ضروب الكفر والعهر
ليحيا الدين والمبدا

ايا اعداءنا مهلًا فما اذلالنا سهلا
اذا خلتم بنا جهلا بنا يلقى الحجى شغلا
وان رمتم لنا ذلًا فانا بالعلى اولى
وان رمتم لنا قتلا نوافي في السما سهلا
اذا اجسامنا تبلى فما ارواحنا تبلى
فقدكم فالملا ملاَ اكاذيباً لكم تتلى

وها قد نلتم الخذلا   فقولوا قولنا الفصلا
ليحيي الدين والمبدا
أرى اعمالكم زاعت   ارى اسراركم شاعت
أرى آمالكم ضاعت   ارى آفاقكم ماعت
ارى اشياعكم ناعت   ارى انصاركم باعت
رجالاً بالذي ابتاعت   دليل انها جاعت
وقد ريعت وما راعت   وطرفي قط ما راعت
فقلت قبلها انصاعت   وقلت بعدما طاعت
ليحيي الدين والمبدا

وقال وقد انتدبه اعضاء جمعية الشبان البيروتيين ليقف بلسانهم معبرًا عن عواطفهم امام غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك في حزيران حيث قصدوا زيارة سيدة لبنان وعرجوا على قصره بكركي وكان رئيس هذه الجمعية سنة ١٩١٢

سرينا والقطار سرى رزينا   الى العذراء يحملنا امينا
ووجهنا القلوب مصوبينا   الى الرحمن عزماً لن يلينا
لنا كل قوتنا القوت المعينا
منارة امنا العذراء شمنا   «حريصا» كعبة الزوار رمنا
وشاقتنا محاسنها فهمنا   وأكمل ما عليه قد عزمنا
فرحنا الفائزينا الغانمينا
وكان الطير ايقظه الصباح   فهبَّ وبالفضاء له مراح
فلم يذعره رزٌّ او صياح   فرافقنا ،وطاب له السراح
وقاسمنا سرورًا لن يشينا
وغنانا اناشيد الهيام   ووجه فكرنا نحو السلام

وبعدنا عن القول الحرام   وذكرنا بايات عظام
بايات تروق المؤمنينا

وواجهنا النسيم بكل لطف   والحفنا باطياب وعرف
وآلى ان يظل على التخفي   فنغنم منه ما يحلو لوصف
ونهويه زميلا او قرينا

وريًا النور اهداها النسيم   فزارتنا على رحب تقيم
وجاءتنا كما بتنا نروم   فقلنا لو تظل ولو تدوم
فنحسب عرفها كنزًا ثمينا

وباتت في سما لبنان تزهو   غزالته بانوار وتبهو
وما احلى الغزالة وهي تخلو   بعاشقها اذا ما الحب يحلو
تناجيه بسر العاشقينا

مزارع ارض لبنان تردت   ملابسها وفيها قد اجدت
فراقتنا وخلناها استعدت   للقيانا بباقات اعدت
من الازهار تسبي الناظرينا

وطربنا خرير في السواقي   ومنظر مائها وسط المساقي
ترقرق كالدموع من المآقي   ويروين السهول على اتفاق
فتخضل الغراس بما سقينا

وفي وسط الفضاء ترى جهاما   يحجب شمسه كيلا تشاما
يكاشفها المودة والهياما   فتسمعه التأفف والملاما
فيستحي ويبعد مستكينا

وصلنا للمحطة واسترحنا   قليلا ثم «صربا[1]» قد برحنا
الى تمثال مريم قد نزحنا   ولما ان بلغناه فرحنا
وعندئذ جثونا راكعينا

---

(١) اسم قرية قبل جونية

هنالك قد طلبنا بالرجاء　　ووجهنا العقول الى العلاء
ونادينا البتول الى السماء　　لتبعد عن ذوينا كل داء
وترجع للبلاد مهاجرينا

تبعد عن بني لبنان شرّا　　وتأبى للخلاعة ان تقرا
وتنفي منه ما يوليه ضرا　　وتبقيه مزارا بل مقرا
لاباء الجهاد وللبنينا

وثمَّ الى الكنيسة قد دخلنا　　فرجّينا المهيمن وابتهلنا
وخبز الرب آنئذ اكلنا　　وضاعفنا الرجاء وقد املنا
نلاقي ما رجونا ان يكونا

***

وبان لنا مقام البطريرك　　فصوبنا المسير الى «بكركي»
فخلنا اننا اوساط فلك　　بقصر دونه آطام ملك
والفينا الفضائل يسترينا

فانزلنا على رحب كراما　　واولانا المودة والوئاما
وباركنا ونفّلنا سلاماً　　وذودنا الهدى الامر المراما
فطرّب قلبنا مما لقينا

ذكرنا منة الرب العظيم　　ذكرنا نعمة الحبر الكريم
على افضاله الضافي العميم　　شكرناه بآيات النظيم
وصغنا الحمد شأن الذاكرينا

اكلنا زاده زادا شهياً　　شربنا ماءه عذباً نقياً
رشفنا حبه صرفاً صفياً　　وما منا فتى يلفى دنياً
ليجحد فضله الوافي الينا

***

فانت لدينا حصن ممنعٌ اذا جار الزمان اليك نفزعْ
وان صال العداة اليك نزمع وان نظلم فبابك انت نقرع
فنرجع بالمآمل فائزينا

واحبار هم القوم الكرام وددناهم ونابى ان يضاموا
اذلوا ما يقال وما يرام من الشر الذي يهوى اللئام
وباتوا للرشاد موطدينا

فللاكليروس الراقي ذكرنا سجايا ان جحدنا وان نكرنا
تحققها الشواهد ان سترنا فتبدو للعيون كما وجدنا
ونمدح ما حووه مفاخرينا

هويناهم كما يهوى الوليد مربيهُ فرأيهم السديد
ونمنعُ مجدهم وهو العميد وان قالوا نتمم ما يفيد
وانّا للكنيسة خاضعونا

***

لبيروت العزيزة قد رجعنا مساء في القطار وقد وسعنا
عزاء بالزيارة وانتفعنا فشق بنا السهول وقد نزعنا
الى لبنان ارض الراشدينا

وكان البدر مصباح الظلام اطل سناه من اعلى مقام
فبان لنا جميلًا في ابتسام وضاعف بشرنا مرأى التمام
وحيينا الهلال مسلمينا

فرد تحية تروي غليلا ومثل للنواظر مستحيلا
خليلًا صادقاً يهوى خليلا ويبدي في الشقاء له الجميلا
فينسيه الشقاوة والانينا

وصلنا للمدينة في سرور ورددنا احاديث الحبور

عزمنا ان نتمم ذي النذور   نحنّ الى مواساة الفقير
ودفع الكفر عنا فاخرينا

فانا أمةٌ تهوى صلاحا   وعند الضيم تتبع الكفاحا
وتأبى ان ترى شرًا مُباحا   ونأبى ان نرى فينا طلاحا
لنبقى في الديانة ثابتينا

نصول كصولة الابطال طرا   ندافع عن حياض الدين شرا
ولا نرضى المذلة ان تقرا   ونهتف كلنا سرًا وجهرا
ليبق البر والايمان دينا

وان صالت يد الدنيا علينا   ورامت ان تقوض ما بنينا
نهب الى الدفاع وقد ابينا   ونبلي بالحقائق من بلونا
ونهوى ان نبيت مدافعينا

وقال مخاطباً اعضاء المحفل الخطابي اول السنة المدرسية ١٩١٣ وكان مديره ومدير الروايات التمثيلية والمحفل النحوي

كنا افترقنا على جدوى نوآلفها   وكل فرد رجا للود تقريبا
ثم اجتمعنا ومنا بعض من بعدوا   فكان بعدهم للقلب تعذيبا
فالله اسأل توفيقاً لمن بعدوا   وللذين ارى رقياً وتدريبا

***

يا معشر الجد ان اليوم محفلنا   يملي النواحيَ تاهيلاً وترحيبا
هبوا الى العمل المحمود مغنمه   فليس امر وراء الجد محجوبا
ولا تبالوا فان الله عاضدنا   ولا تبالو بما يقصي المطالبا
فالجد عنديَ ان آلقمُ سهلت   على يراعتكم تبدي الاعاجيبا
لقد عرفتم بان الشغل يطربني   والشغل بات من الطلاب مطلوبا

وله من قصيدة رثى فيها ابن اخي صديقه الوفي الشيخ ابراهيم منذر فتك به اعداء ايد غيلة سنة ١٩١٤ وقد اشعره بالفاجعة

اری لليالي ان احزّن مطمعا ... وللدهر بشراً ان اظل مروّعا
يثم على جدي ويسعى بعزتي ... ويرخي على نجمي ستاراً مبرقعا
فمن قبله قد كنت ارجع مكره ... واسطو عليه والاسى متدرعا
ومن بعده شنّ الاغارة باسلاً ... فعفر عزماً كان بالصبر امنعا
وجشمني فوق المرازئ باهظاً ... فاثقل ظهري والجوارح اوجعا
سئمت به هذي الحياة وما حوت ... وزمت به الاوصاب والصاب جرّعا
وعزّ حزني حزن خير احبتي ... وآلمني خطب به بات موجعا
أثار الشجا عم الفقيد موالّي ... ابت نفسه الا الكآبة مترعا
فما ساغ لي بعض العزاء وصدره ... تهدده هول المصاب فصدعا
عزاؤك ابرهيم انّ فقيدنا ... سعيد راى عند المهيمن موضعا
هنالك تلفي ما يخفف لوعةً ... تسببها هذي الصروف لتجزعا
ولا تحسبن الا المهيمن صائلاً ... على زمرة اردوا الفقيد مصرّعا
فانت على شرع المهيمن سائر ... تصون له ديناً سما وترفعا

شكوى النوى

بين الشيخ اللغوي الفاضل العضو النيابي ابراهيم منذر وبين استاذنا مودة وولاء فرأينا ان نثبت في هذا الجزء بعض رسائل الشيخ ذكرى ولائها

« لازمة »

سر كتابي نحوَ ارباب الوداد ... ان ارباب ودادي في عزيز
بثهم شوقاً برى مني الفؤاد ... ودموعاً ضاهت الغيث الغزيز

دور

أنبئنهم انني عهد الولا — حافظ ما دام في الجثمان روحْ
وجناني لهواهم ما سلا — لا ولا رام سواهم ان يلوح
حبهم بين الملا عني جلا — دُجنة الهم فلا يوماً انوح
سر اليهم طاوياً تلك الوهادْ — حاملاً ما جذوة الحب يثيرْ
واذا قابلتهم تلقى المراد — بصفاء كصفا ماء الغدير

دور

ليس محبوبي من الغيد الملاح — غادةٌ يسبي محياها الاسود
لا ولا غانية حسنا رداح — تخلب الالباب من هز النهود
لا ولا فاتنة في النطق لاح — من سناها البدر في اعلى الصرود
بل حبيبي سيّد شهم جواد — خلقه يعذب كالماء النمير
شاعر من نظمهِ لان الجماد — ذكره السامي حكى نشر العبير

دور

«يوسف» ذاك الذي ضمن الحشا — يا بني الدنيا له حبٌّ شديد
ذو بهاء دونه كل رشا — وسناء دونه العقد النضيد
عالم ذو مكرمات من يشا — ودّه يلقَ به خلاً فريد
قد نشا من اسرة بين العباد — ربها بالجود تلفيهِ شهير
فعزيز النفس للفخر عماد — من نداه يجبر القلب الكسير

دور

وعزيز بلدة فيها اقام — كل انس والشذا منها يفوح
في هواها همت يا اهل الغرام — والجوى غادر في قلبي جروح
فهي مأوى كل مرفوع المقام — وهي للباغي السنى راح وروح
كيف اسلوها وقد خطّ المداد — حبها في مهجتي طفلاً صغير

فنما الحب مع العمر وزاد عندما حل بها الشهم الخطير

دور

يا اهيل المنحنى رفقاً بمن قام طير البعد ينعاه جوى
دمعهُ المذرى على تلك الدمن قدحكى هطلاً به الصاري ارتوى
لم يذم الحب بل ذم الزمن اذ قضى بعد التلاقي بالنوى
ورماه فوق اشواك القتاد وهو والله بلقياكم جدير
فارحموا صباً يعنيه البعاد واكتبوا ردًا على هذا الحقير

ابراهيم منذر

عن المحيدثة (لبنان) في ١٩ آب سنة ١٩٠١ كمال

غيره

الاصل لأبي العلاء

(مني اليك مع الرياح تحيةٌ) منها العبير يفوح وهو بليـلُ
وشديد شوق في الحشا وصبابة (مشفوعة دمع الوميض رسول)
(في القلب ذكرك لايزول وان اتى) امرٌ دعا مـاء الجفون يسيل
اصبو الى نيل اللقاء وانمـا (دون اللقاء سباسب وهجولُ)

التخميس والجواب

يا صاح ايام البعاد بليـةٌ عظمى وايام اللقاء بهيـة
يا من حياتي في ولاه سنيـةٌ مني اليك مع الرياح تحية
مشفوعة ومع الوميض رسولُ

فمتى اللقاء يكون يا خلي متى والقلب من الم البعـاد تفتتا
فاثبت على ودي واكد يا فتى في القلب ذكرك لا يزول وان اتى
دون اللقاء سباسب وهجول

الاجازة

لما كتابكم الكريم الزاهرُ لمسته كفي قرَّ مني الناظرُ
وبنشره فاح النسيم العاطرُ منه ونظم فيه باهٍ باهرُ
فغدوت كالسكران منه اميل

اصبو اليكم كلما بزغ القمر او كلما هبت صباً عند السحر
واذا الفتى جادت عليه يد الغير بفراق من يهوى زماناً واصطبر
يلقى الهنا والهم عنه يزول

كنا بحال لقائنا ننفي الشجن ونقول ما ابهى اويقات السكن
والان اصبحنا نذم يد المحن ومن اشتداديد النوى نشكو الزمن...
لكنما حال الزمان تدول

حافظ على ذاك الوداد وسر على سنن بها تمتد ايام الولا
فانا امرؤٌ عن صدق ودك ما سلا يوماً وكل ودادنا باقٍ فلا
يغترّ في قول الوشاة جهول

يا من مودته على الصخر الاصم بنيت فلن تودي بها ايدي النقم
دم بالمسرة والمهيمن بالنعم يحبوك ما مرّ النسيم على الاجم
اوصاح ما بين الرياض هديل

« م »
منذر

غيره

(الاصل لصفي الدين الحلي)

« رسائل صدق اخوان الصفاء » تدوم مع المودة والاخاء
وابناء الحبيب بلا انقطاع « تجدد انس خلان الوفاء »
« وارباب الوداد لهم قلوب » متقطعة تعيش لدى اللقاء
وان طال النوى يوماً عليها « يذيب حميمها فرط الجفاء »
منذر

غيره

كتابٌ عزيز من حبيبي اتى يسري | فقبلتـه شغفاً واحللته صدري
ولما شققت الطرس فاح وراءه | اريجٌ زكيٌ فاق رائحة العطر
وما بين هاتيك السطور عبـارة | تبث لنا شوقاً يذيب حشا الصخر
فقلت له كيف الحبيب وداءه | فقال بخير ليس يشكو سوى الهجر
فقلت وهل يبقى على ذلك الولا | فقال بلا شك سيبقى مدى العمر
فقلت وهل يرجو اللقا وبظنه | قريباً ويحظى فيه في اخر الشهر
فقال نعم ذا الامر يجري بفكره | وها انذا اروي كلاماً عن الفكر
فقلت الا يا خير طرس اليه عُـد | وقل انني باقٍ على العهد للنشر
ولكنَّ ملقانا بعيد ولا يرى | به املٌ يرجى على غابر الدهر
فصبرًا عـلى عود اللقاء فربما | يمنّ به الرحمن ذو النهي والامر

سنة ١٩٠٠

منذر

قصاص الله العادل

نشرتها غير جريدة وهي رواية اخوين يتيمين في قفر تحت شجرة

قال الاخ البكر

أراني بهذا القفر يأفني الذعرُ | ويُيئسني ما قد رمانا به الدهرُ
كأنا خلقنا للمصائب والاسى | وليس لنا الا الكآبة والضرّ
أليس لنا حق نطالب عمنا | بما امتاره منّا له وهو مغـترّ
نعيش رفيقيْ فاقة ومذلـةٍ | يؤالفنا الهمّ المبرّح والاسر
ولم يرتضِ العم الرغيب فؤاده | بغير ردانا كي يطيب له القصر

فارسل عبديه لكي يفتكا بنا ... فتأكل جسمينا الجوارح تفترُ
فغادرنا العبد الرؤوف بحالنا ... بذا المهمه القاصي يُهددنا القفر
وتؤلنا ذكرى مشاهد فتكه ... بعبدٍ ابى الا يسترنا القبر
كلانا على هذي البلايا وامرنا ... عجيب وفينا البؤس أغرم والشرّ
فوا اسفاً كيف المنون تخرمت ... ابانا وذاك العم طال له العمر
وواعجبا أن الشفيق تنوبه ... وتبقي على وغد يخالله الغدر
حقائق اخفاها الاله فحجبت ... عن الخلق حتى لا يلم بها الخبر

***

قال الصغير

رويدك فالصبر الجميل له أجر ... وربك موكول به العسر واليسرُ
ولا تيأسنْ فالله اعرف بالذي ... نقاسيه فاستسلم لرب له السر
سينقذنا من ورطة الضر والاذى ... باعجوبة يدوي لها البحر والبر
تبيّن لي اذ قد رقدت هنيهةً ... بأن امير الثغر يبلغه الامر
فنُسأل عن حال تستر كنهها ... فنعلنها حالاً لينكشف الستر
فنحيا وقد متنا من الغم والاسى ... ويجمعنا من بعد نكبتنا القصر
وتهتم حكام البلاد بشأننا ... وتجزي ظلوماً قلبه صنوه الصخر
وتسرع في التنقيب عنه جنودهم ... لتقتص ممن دأبه الجور والمكر
فيلفونه والدود ينهش لحمه ... بداء عقام ضلّ عن علمه الكفر
وارزاقه مارت وأحرق قصره ... وداخله يأس وعانده صبر
وزوجته ماتت بقرب سريره ... واولاده والفلك اغرقها البحر
وخدامه افنوا وذل عبيده ... واصبح في هون وقاطعه النصر
ونال عقاب الجور ميتة ظالم ... وأصليَ نيراناً يؤججها الشر

***

بتلك شقا الرب المهيمن جائرًا | بريئين لم يرحم وهان له الكفر
فهذا قضاء الله جلّ جلالـه | خبير بما قد كنه الفكر والصدر
كلانا ومن انشا الاله لامره | نخضع رأساً لا يطأطئه الدهر

وقال

ارى مدعيّ الفضل وفراً عديدهم | واوفر منهم مُدعوا الشعر والنثر
فما كل من يحكي حديثاً ملفقاً | ولا مدعٍ يرقى مجدا الى الخبر

وكتب مهنئاً احد تلامذته القدماء الوجيه الاستاذ المحامي جان افندي ملحمي بعيده
وكان شاتياً سنة ١٩١٥ في غزير ابان الحرب الكبرى
وهو من خيرة رجال العصر

ارى اسمك يا اوفى الاحبة حاوياً | معانيَ لا تخفى علي وتستر
فضاهيت من سُموا به وتعززوا | بدين وعلم بالفضيلـة يزهر
حويت سجايا صنتها بفضائل | سموت بها والمرء بالفضل يكبر
وقد لاح لي اصباح عيدك مشرقاً | فافتن قلباً انت فيه مصور
اراني بـك الله القدير معزياً | بذا العيد عمن في ولائي تحيروا
وبثّ الى قلبي احبّ موألف | وافضل تلميذ به الحب يفخر
تمنيت ان اسعى اليك معيّداً | فآخرني سقمي الذي لست تُنكر
فسيّرت شعري كي يتمم بغيتي | وشعري امينٌ لا يخون ويغدر
يهنيك بالعيد الذي انت شمسه | وحظك موفورٌ وسعدك مزهر
فعش سالماً نفرح بك العمر كله | ولا زلت انعام المهيـمن تذخر
اليك كعربون المحبة باقة | من الزّهر العطري عرفك تنشر
هدية مشغوف بحبـك طالب | لك الخير والنعمى التي تتخير

وكتب الى الوجيه الفاضل صاحب جريدة لسان الحال الغراء رامز افندي سركيس وهو مميّز بدماثته وسجاياه احد تلامذته في المدرسة البطريركية يهنئه بخطبته سنة ١٩٢٠

ان هنؤوك فواجب قد تمموا ... فالشعر يصدق في الاريب ويحكم
قد قال[1] نابغة القريض قصيدة ... في حد فضلك عقدها لا يفصم
ان قال كلمته تخال لبيدها ... وكانه الاعشى يقول ويحكم
لا يظلمونك ان تباروا في وفا ... ئك حق قدرك او مقامك عظموا
يا « رامزٌ » فيك الفضيلة والنهى ... والبر تنظمه اللهى والانعم
فالورد دونك رقةً ودماثة ... والزنبق العطري عرفك يغنم
تحوي الرزانة والاصالة والحجى ... والحزم والطهر الذي لا يثلم
لا لطف الا في طباعك حصره ... والعقل في خير الخلال محكم
اما الصحافة فهي تشهد انها ... تهواك كعبتها تحج وتلثم
ولسان حالك صادق في قوله ... نفعَ البلاد وبالسداد مكلّم
ما شذّ يوماً عن مبادي، والدٍ ... « فخليل» مبدؤه السديد نعظم
والنجل سرّ ابيه يدأب دأبه ... ومقامه من بعده يتسنم
تلك السياسة بالرثاء فعهدها ... لم تدر معنى او تود تَفهَمُ
ما خنت حراً كي تصانع آمراً ... في ما يخامر او يود ويحلم
اماً نودك فالفؤاد متيمٌ ... واذا نهني، فالمحيا يبسم
سعداً لآنسة خطبت فانها ... تلقى السعادة في حماك تحوَّم
تتعشق العيش الرغيد « برامز » ... وتجدُ ساعات الهنا وترمم
تحيا وتبغي ان يطول بقاؤها ... فبقربك الدنيا لها تتبسم
والدهر يؤنسها ولا يجني عليـ ... ـها والهناء برغدها يتكلم
فاهنأ بخطبتك التي أنبتها ... تدنيك من عُرس به نترنم

(١) اشارة الى الامام البستاني

وارخ موت المرحوم الشيخ لويس رفول اجابة لطلب نجله

عُوجا على جدث باجمع ضمنه شهم تضيق به القصور وترفع
قولا عليك تحية الرحمن يا قبر ابن رفول فانت الامنع
قد اودعوك لويس خير ذخيرة اعزز وديعتك التي تستودع
سركيس يبكيه بدمع عندم وكذا تقولا والفؤاد مصدَّع
لعلاك مشهود وتاريخي يرى فلويس في خدر الاله ممتع

سنة ١٩١٧

تحية الجيش الفرنسي

يا ايها الجيش المظفر في الوغى مني اليك تحية وسلامُ
شهدت بصولتك البلاد وآلها وعلى دفاعك اثنت الايام
اظهرت للوطن العزيز بسالة هزت بمجد فخارها الاعلام
لا زال بيرقك الشريف معززاً وبهي نصرك تذكر الاعوام

الصفح عن القاتل

ونظم هذه القصيدة مصوّراً حادثة حقيقية روتها جرائد الفيحاء وبلغته وهو في بيروت في كلية القديس يوسف من كاهن ماروني من الكفرون المرحوم الخوري بولس سعاده صفح عن قاتل ابنه وهو من القرية ذاتها بينا هو على المشنقة في ساحة تل الفيحاء فجاءت كما جرت وقد نشرت في مجلة المشرق الغراء

هنالك في الفيحاء حيث تجمّعُ جماهير لا تحصى لامر توقعُ
قفا عند « رأس التل » وقفة آسف ولا تسألا فالحال تبكي وتوجع

تبين ذاك اليوم للطرف ظلمة ... وغيم الفضا وجه الغزالة يسفع
فلا شمس في وسط السماء منيرة ... ولا نجم في تلك الدجنة يلمع
ولا بشر في اهل المدينة سائد ... ولا شهب تبدو في السماء وتطلع
تصدّ عن الافق النجوم كئيبة ... وتهرب من ذاك الرقيع وتفزع
يحجب وجه البدر ستر كآبة ... فلا البدر مرئي ولا النجم يسطع
نضا البشر عن وجه المدينة آفة ... وناب عن النور القتام المجزع
وساد سكوت سبب الخوف طوله ... فلا سوق مفتوح ولا بيع ممرع
ولا الطير في دوح الرياض مغرد ... ولا القول مسموع ولا الرأي مجمع
كأن قد عرا تلك المدينة نكبة ... وجللها هم من الحزن مفزع
كأنّ على هام الجماهير طائراً ... فلا ركز في تلك الدقيقة يسمع
ولكنّ عيون محدقات بيافع ... يسير ببطء وهو آس مقنع

***

الا ايها الساري المروّع قلبه ... الى اين ما تبغي وما انت تقطع
رجوعاً فهذا السير يفضي سبيله ... الى الشنق بالاثم الذي كنت تتبع
فيا ليت لم تقتل فتياً محصناً ... بريئاً قضى لم يجنِ ما كنت تنزع
قتلت ولم ترحم كهولة والد ... رثاه بما قلب الجلامد يصدع
وفجعت امّاً نغّص الحزن عيشها ... وآلمها والام بالنسل تفجع
وذكيت نيران العداوة مضرماً ... فهاج لها السكان والضغن يلذع
وناح ذوو القربى وبكوا فقيدهم ... فكلٌّ حزينٌ وهو بالصبر يصدع
قتلت وأحرقت البيت تعمداً ... لتخفيَ ما تجني فما انت تقنع
تبين للحكام انك قاتلٌ ... فها انت مسجون وها انت تصرع
فسقت الى القتل الذي انت خائف ... فلا بدٌّ مما اليوم منه تروّع

***

تبدّى له الشنق الذي راع قلبه ... وكل امرئٍ يخشى المنون ويفزع

تقدم للموت الفتى وهو جازع فأدمى قلوباً باسها يتصدع
واذ كادت الامراس تلمس عنقه وصاح ذوو قرباه وهو مروّع
مشى كاهن بين الجموع بخفة وشق صفوفاً لا تعد وتجمع
فهذا ابو المقتول قوّس صلبه أسىً اصل اركان الجبال يزعزع
تنازعه امران حب انتقامه وما قال انجيل المسيح الممنع
فاقنعه تعليم انجيل ربه وصاح غفرت الاثم والدمع مترع
صفحت عن الجاني كما قال خالقي وما لي بهذا الصفح ذا اليوم مطمع
فضجّ جميع القوم ضجة معجب بما سمعوا ما لم يكن يتوقع
فعاد بهاء الافق يزهو بشمسه واسفر وجه البشر لا يتلفع
وقد عظم الاقوام دين مسيحنا وذو العقل في الدنيا بذا الدين مولع
فما تارك الا لبعض مقاصد ولا نابذ الا الذي ليس يقنع

***

هناك ارى رسم المحبة كاهنٌ هوته سجايا كلهن ترفع
محبته قد وفر الحلم جودها لها اليوم في جوّ الحقيقة مطلع
وايمانه قد بارك الله صدقه وليس له عن منهج الحق منزع
وما المرء الا ان يكون لدينه ويعبد رباً والخليقة ينفع
فلا شيء للانسان يجدي منافعاً سوى صالح باقٍ فدنياه تخدع

واجاب حضرة الاب الفاضل الخوري لويس العلم بهذه الابيات مهنئه بتذكار عيد شفيعه القديس لويس غونزاغا سنة ١٩٢٠

أُنبئت لطفك لا يزال ينالني ويراعتي عن حد فضلك تقصرُ
ليس القصور لعجزها وضلالها لكنّ فضلك لا يحدّ ويحصر
فأنل مواهبك الجدير بنيلها فسواي اولى بالعطاء واجدر
حسبي رضاك عطية موفورة فانا بعفتك الشريفة افخر

أحسنت بي ظناً فلو أنبتني ... حققته بجليل فعل تشكر
اني بعيدٌ عن ماثرَ حزتها ... -واقلّها جود اجلّ واكبر
فاهنأ بعيدك- فهو يوم زاهر ... وانعم بفضلك فهو بحر يذخر

الى غبطة السيد
العلامة
البطريرك الماروني

زار بعض اعيان الطائفة المارونية في طرابلس سيدة لبنان في الـ ١٥ من حزيران سنة ١٩٣٢ وعاجوا على بكركي للتيمن بلثم انامل غبطة البطريرك عميد لبنان فانشد استاذنا غبطته الابيات الآتية نشرت في الرقيب

مقرّك يا مولاي ركنٌ وملجأٌ ... لراجيك يوليه الذي يتعمدُ
محجٌ لاعيان البلاد جميعها ... واقيالها والشعب عونك يقصد
حييتَ للبنان الصغير عميده ... وتحيا للبنان الكبير تؤيد
وعشت لحسم المعضلات بحكمة ... تحيّر افكار الدواهي وترشد
والفى بك الغرب المسابق قومه ... تمثل رقيّ الشعب قبلُ فحسدوا
كثيرون قالوا الانتداب بسعينا ... وهم عندنا ملقى الصغار واعبد
فانت الذي قيدت اس بنانه ... وكلمتك الدنيا تقيم وتقعد
ولستُ كمن يأتيك يسأل بغية ... فقولي كنفسي لا يذل ويفسد
واني غنيّ عن مقام ومركز ... وحسبي رضى ربي الذي انا اعبد
وحسبي رضى الحق الذي انا تابع ... وما قلت يحكيه الجماد وينشد
فابناء مارونٍ بسعيك مجدهم ... وتقواك تهدي من يضل ويفسد
فما من لسان لا يحقق كلمتي ... وافعالك الغراء تبدو فتشهد
فعش سالماً فالله سعيك عاضدٌ ... يدبّر ما تبغي وما تتقصد

ابتهال الى القلب الالهي

نظم هذه القصيدة سنة ١٩١٥ وانشدها بنات مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم في كنيسة دير الاباء اليسوعيين في غزير ورتلتها ونشر بعضها في العدد الممتاز من مجلة السلام سنة ١٩٢٠ المجلة المصورة

يا ايها القلب العجيبُ هيامه ... بخليقة تخطي اليـه وتأثمُ
قد كافأته من المواهب جحدها ... وعن المحبة قد تميل وتحجم
دهشت بقدرته الطبيعة وازدهت ... وبحمده حركاتها تترنم
فالشمس يذهلها تكون جرمها ... فتمجد الله القـدير وتُعظم
والبدر يسبح في الفضاء مسبحاً ... هذا المكون وهو لا يتكلم
وجلّة الرب المرفع قـدره ... فوق البرية حمـده لا ينظم
لم يكتف الانسان بالجحد الذي ... يأبى الجماد وكل ما لا يفهم
لكن رمى قلب الاله باسهم ... اصمت فؤاداً بات لا يتظلم
وبحبه السامي تأنس ربنـا ... ولختار ميتة مجرم يتألم
وقد افتدى الانسان وهو الهه ... وبه توفرت اللّهى والانعم
والمرء يجحده المحبة والولا ... ويصد عنه ومن مآثم يكتم
والكل ما بين الملاهي والخطا ... والكفر يذكو والخطيئة تعظم
والله يولينـا المراحم هائماً ... بخليقة تجني عليـه وتلوم
وفؤاده[1] وله الينـا واهب ... نعماً وإنا مـا حبانا نكتم
اهدى الينا قلبه ليصوننـا ... بالحب ممـا بالخطيئة يؤلمُ
اهداه عربون المودة والوفا ... فعلامَ لا نهوى الاله ونكرم

(١) مصدر

والام نغرم بالمدنس نفسنا ونعيش شذّاذا نسر ونتنعم
ونبعّد الاجنان عن معشوقها قلب الاله وللخطا نتبسم
فاليوم يدعونا الاله بحبه ومرامه عود المودة يعجم
فلنرجعنّ الى حظيرة قلبه ومع المهيمن خير عهد نبرم
انا سالناك الحماية واللهى لتقودنا نحو النعيم فنسلم
أشرف الهي من سمائك ناظراً هذا القبيل فانه بك مغرم
هذي الجموع وقدنظرت سماطها فاتت اليك وانت عنها تحلم
تاقت الى قلب الاله نفوسها فاتت تبثك ما بحبك يضرم
قد جمّعت ازهار حبٍّ طاهر تهدى اليك وما تضمن تعلم
من زنبق يحكي الثلوج نقاوة وبنفسج نفحاته تتنسم
وإطارها ورد يمثل حبنا قلب الاله وانه لا يثلم
فاليكها عربون حب صادق يبقى حصيناً لا يمور ويهدم
فاقبل شواعرنا وعزّ نفوسنا تبعد نوائب لا تني تتجهم
بارك بنيك الصادقين مودة فبحبك الشرف الرفيع يسلمُ
انشر لوا بنت الكنيسة فوقنا تلفَ السعادة والمفاخر نغنم
ايد فرنسة من نرجي دولةً تنهي وتامر في البلاد وتحكم
فاذا قبلت رجاءنا ووعودنا بتنا على الدهر المهدِّدِ ننقم
برضاك عنا لا تذل نفوسنا يهوى الزمان ونحن لا نتهدّم

نشرت مجلة الدرة الغراء في الجزء ١١ و٦ سنة ١٩٢٠ هذه القصيدة التي نظمها في مديح السيدة مريم العذراء سنة ١٩١٤ اجابة لطلب راهبات قلبي يسوع ومريم لتنشدها طالباتهن في غزير في كنيسة الآباء اليسوعيين وترتلنها وقد فعلن وهو على وزن استنبطه وهو
فاعلاتن فعولن فاعلن . . فاعلاتن فعولن فاعلن

أمّ ربي غياثٌ في الوجل نُصرة الخلق عون المبتهلُ
وردة الطهر مجد للبلل مورد يقصد الآملُ

منهل المجد صافٍ لا يقلّ ... مصدر المجد صدٌّ للملل
سُدرة الخلد فيها نستظلّ ... حيث يلفي مناه السائل

***

آية الحسن فيها تنحصرُ ... والبها في غيرها لا يستمرّ
بدرُ تمٍّ لا يوافيه سرر ... نورها يتبع الراحل
نجمة الصبح لكن لا تغر ... نجمة البحر ابهى من قمرْ
غاية الحب مجد للبشر ... خيرها جوده هاطلُ

***

يا سما بابُها لا ينغلقْ ... فيكِ لاح الرجا بل قد صدقْ
واستحق الفؤاد المنسحقْ ... نعمة اكبر العاقلُ
ان هوى القلب اثماً او رهق ... بدّدي ميله واحمي الرمقْ
من شرور بغت ان تسترقَ ... هام فيها الغبيُّ الجاهلُ

***

يا عماد الهدى ركن الرشدْ ... احفظي عقلنا الاّ ينفسدْ
وأعضدي وابعدينا عن فندْ ... ما بدا في الدنا باطلُ
ان هوى قلبنا ميل الجسدْ ... بعّدي ميله عما فسد
أسلكي نفسنا سبل الزّهدْ ... فالسما مجدنا الكاملُ

ونظم ايضاً في مديح السيدة العذراء هذه القصيدة اجابة لطلب راهبات قلبي يسوع ومريم سنة ١٩١٥ للمقصد ذاته وقد نشرتها مجلة المسرة في العدد ذاته سنة ١٩٣٠ واصل مطلعها نحن اللواتي قد تخذن مريما ولان تلامذة المدارس كانوا يرتلونها وكل ما نظم في العذراء مما طبع في الجزء الاول والثاني من الزهرات غيّر مطلعها واعاد الضمير الى الذكور

نحن الذين قد اتخذنا مريما ... أم الاله شفيعةً كي ترحما

فبها نخصص ما يخالج فكرنا ... وبها نصون النفس كي لا نأثما

ولقد هويناها وانَّ هيامنا ... فخرٌ وليس لنا يذلل مغرما

فبنا يميل الى الاصالة والعلى ... وينيلنا المجد المؤثل مغنما

ويزيد في حسن الوجوه عفافنا ... حسناً وتنغم عزةٌ لن تثلما

ولئن عرتنا في الحياة ملمةٌ ... فبها نبدد ما دهانا مؤلما

نُهدي الى هذي البتول قلوبنا ... حتى يظل وفاؤها متنسما

وننزه الافكار عما يشيننا ... فنحوز بالتقوى اللواء المكرما

ولقد عقدنا في الرؤوس اكلة ... من وردها حتى نعز ونعظما

والان نقسم اننا في حبها ... نحيا بايمان ونحرز انعما

ونذل امجاد الزمان ورفده ... ونعظم الام العفيفة مريما

هذي وعودٌ صادقات فاقبلي ... منا العهود محبةً وتكرما

وبما وعدنا منك نرجو رحمة ... ان تحجبي بحراً يراق من الدما

ان ترفعي عنا المصائب والاذى ... والجوع والجدب المهدد ذي الحمى

والى المهيمن سددي خطواتنا ... بل بعدي عنا الخطا وجهنما

بالله بالفادي الحبيب بجبنا ... لا تخذلي هذا الرجاء فتسلما

اما اذا صحت عهود ولائنا ... فاليك نشكو أن نساء ونظلما

واليك نهدي في الختام تحية ... ونعطر الافواه فيك ترنما

رأينا ان نختم هذا الجزء بالمقالات التالية التي اقتطفناها مما كتبه استاذنا في الرقيب الصحيفة التي هو رئيس كتبتها تمهيداً الى طبعه الجزء الرابع المهيأة مواده مختارة مما سطرت اناملة في تلك الصحيفة انشاء الله

امـام

سناءُ(١) الصليب ومشهد القيامة

نورُ الصليب على البرية اشرقا فرأت به مجرى الهدى متدفقا
والعلم ساد على الضلال بهديه والجهل كبَّله الرشاد واوثقا
وسما الى ذخر الفضيلة عقلها وتخير السنن السنيـة مرتقى
وتقوَّضت اركان كل فظيعة ونمى الى البشر العفاف فأعتقا
سبحان من جعل الصليب منارة وفدى واسعاد العباد محقّقا

يقف اليوم العالم المسيحي امام الصليب متخشعاً . يحدّق بصره الى جبل من ارض صهيون اصبح به مزاراً ومجتمعا ينعمه في خشبة كانت عاراً . فاصبحت بالمسيح مجداً وفخاراً تتراءى له في موقفه رسوم ظلمات الاعصر المتسكعة في دياجير الوثنية . ويفقه معنى هاتيك الفظـائع التي حطت من مقام البشرية السامي وحولته صرفاً الى طبيعتها الحيوانية

وبينا هو شاخص يتأمل في تلك المشاهد المؤلمـة البصر اذا به ينتعش وقد شام سنا(٢) الهدى والرشد ينبعث من اعـلى الصليب . فيسمع صوتاً يجوب الارض قاطبـة خارجاً من فم

(١) الرفعة (٢) نور

المسيح المصلوب يدعو الامم الى اتباع شريعته بالبشارة لا بالقوة

ثم يلي صوت الانجيل بمثل المسيح ورسله جماهير استنارت بنبراس البحث فاتصلت الى معرفة الفرق فأعتقت من رق عبودية الكفر ودخلت في شرع الحق

على فرع الصليب بنى المسيح كنيسته المقدسة وعزت مضطهدة ولا تزال وهي تسالم

ان آية واحدة من آيات المصلوب كافية لتمييز تلك الشريعة بجوهرها

الجمعة امس الذي هو تذكار آلام المسيح تحول فيه تفاؤل البشرية بملاذ الدنيا الى تشاؤم بها

تميل افكارهم عن الاستمساك بها الى الصليب المقدس وتجثو امامه كما يجثو الملوك ويخضع العظماء وينقاد القواد صاغرين لكلمته القديرة

امام الصليب يعز الضعيف ويتصاغر الرفيع

امامه يسمو الوضيع ويتذلل المتكبر . لانه نبراس الحق ومصدر السلطة واساس كل شرع عادل وعلى قاعدته شيدت المقاصد السامية وبه الخلاص والحق والحياة

في ذلك الموقف المستوقف العقل للتأمل والبحث في مظاهر الصليب سيلفته مشهد آخر كان بالصليب ايضاً وهو مشهد القيامة

الذي قوى بالصليب الرجاء

لو لم تكن القيامة لكان املنا بالصليب ضعيفاً ولكان شرعنا متزعزعاً

ان الذي عُلق على خشبة العار وجعلها فوق عروش الملوك مجداً قام بقوته منتصراً ظافراً

الذي ناء تحت ثقل خطايا البشرية كأنهن جبال راسيات مؤلفات من خطايا البشرية شبه حجارة صوبت الى صدره وما عتم ان تراكمت فألفت اطواداً شامخات ناء بها المسيح منحنياً تحت ثقلها وهو الخالق القدير وسالت دماؤه ينابيع رحمة فغسلت تلك الرواسي وطهرت حياة البشرية

صلب المسيح بما انه انسان وقام بقوة لاهوته من القبر ممجداً مرت روحه بالابرار المعتقلين فقادهم الى السماء . فانفتحت به ابوابها

خفف من صرامة العدل

الاله تنازل فصار مثلنا ثم فدانا ليعلمنا شريعة الحب

اي حب يضاهي حب من بذل نفسه من اجل احبائه ؟

اي تعليم يضاهي قوله احبوا بعضكم كما انا احببتكم ...

ما اجمل شريعة الانجيل الصارمة لا تفعل بالغير ما لا تريد الغير ان يفعله بك . اكرم بتعليم سنن التواضع فيه .. فليكن كبيركم خادماً لصغيركم ما اتم واحق جوهر ما اشترع . ما

جئت لانقض بل لاتمم . ما اثمن ما وعد به متبعي هديه .
لقد فتح باب السماء للانسان الذي بقيامته احياه من موت
الخطيئة الاصلية والفعلية التي تتهدده في كل ثانية

نشر امامه لائحة السعادة الاخيرة حيث لا عذاب. السعادة
التي لا تحد حيث لا لذة جسدية بل روحية . مسكنه الابدي
المرفع عن كل ما يتصوره العقل البشري، عن كل لذة محسوسة
جسدية في هذه الفانية

بين هذين المشهدين اللذين كانا بالميلاد المقدس يقف العالم
المسيحي بل سكان الارض قاطبة يدرسون في الانجيل شرائع
الحياة البشرية الحقيقية ويتبعون قوانين مبنية على اسس العدل
والرحمة ولا يسعهم الا ان يسبحوا الله في قدرته ويمجدوه في
تعاليمه

فليكن ايها الصليب المقدس عهدك في قلوب العالم معززاً
باتباع وصاياك، وليسع حلمك جحد البشرية فضلك وسقوطها
بضعفها في ما كانت سبباً لصلبك ولتكن قيامتك رجاء ابدياً
تبشرنا بنعمتك لحصولنا على الحياة الغير الفانية بدار الخلد حيث
لا شقاء ولا عناء

نتف من تاريخ طرابلس

إنَّ ما توخيناه ونحن مُصيبون ان نبذل ما في الوسع لنفيد هذه الاقطار التي كان من شوءمها ان تحرم من اكثر المعاهد والرقي ويظل قاطنوها عرضة لاميال المسيطرين وهدفاً للضيق ونعني جهات عكار وصافيتا والحصن الخ وبعض جرود شمالي لبنان وقد كتبنا امس مقالتنا « المعارف » اظهرنا فيها افتقار هذه النواحي الى المدارس والعلم وقد رأينا اليوم ان نكتب هذه الكلمة لنبين مجد الفيحاء وعزها من قبل ونظهر لاصدقائنا الطرابلسيين من الامتين بالبرهان الواضح انها خير السواحل مناخاً في الفصول الاربعة وان ماءها اعذب ماء فكأنهم وهم عند شاطئ البحر يشرفون عليه من اعالي رُبى اواسط لبنان ونبين لهم بهذه اللمحة اهتمامنا بالبحث والتنقيب عما يؤول الى منفعتهم واثارتهم

ان ثلاث مدن كانت تتألف منها طرابلس وهي على ما يرجحه المؤرخون سياني وكايز ومنيزا وهي مشتقة من كلمتين يونانيتين تري‌بولي اي المدن الثلاث ولما حكم الرومان فينيقية سمح بمبيوس الروماني لطرابلس ان تدير شؤونها بنفسها تحت ظل رومية ولما ملك العرب الشام استوطنها قومٌ من الفرس

نقلهم اليها معاوية ووصفها الجغرافيان الغربيان اللذان اشتهرا في القرن الرابع للهجرة الاصطخري وابن حوقل فقالا انها فرضة[١] دمشق في زمنها وانها وافرة الغلات يقيم فيها جند من الشام ومنها يخرجون لغزو الروم، ثم يثنيان على لين عريكة اهلها . وهي وافرة المرافق وسنة ٤٣٨ هجرية تجوَّل في سواحل الشام رحالة فارسي فمر بطرابلس قادماً من حلب فوصف حدائقها الغناء ومزارعها من قصب السكر والاترج والنارنج والموز والنخل ووافق مروره فيها يوم عصر السكر فراقه ذلك - وامعن في وصف اسوارها المشيدة من الحجارة المنحوتة وكان لها باب واحد في شرقها ووصف خنادقها ومناجيقها التي كانت لرد هجمات الروم واسواقها التي كانت في منتهى النظافة ودورها التي كانت شبه القصور وكانت ذات اربعة الى ستة طوابق ووصف فواكهها اللذيذة السريعة الادراك المتوفرة وجامعها الجميل الهندسة ومياهها العذبة وكان اهلها في ذلك العهد على مذهب الشيعة يبلغ عددهم ٢٠٠٠٠ ومن معاملها معامل الورق للكتابة وكانت طرابلس وقتئذٍ في حوزة ملوك مصر الفاطميين اعفوها من الضرائب لامانة اهلها وقال يحيي بن سعيد الانطاكي المؤرخ اخذ نيقيفور من حماة رأس القديس يوحنا المعمداني بعد ان فتحها وسار الى طرابلس ونزل عليها يوم عيد الاضحى

---

(١) الفرضة من البحر محط السفن

في العاشر من ذي الحجة واقام عليها تلك الليلة واحرق ربضها[1] وهو الذي فتح معرة النعمان وحمص وقال ابن الاثير في تاريخه سنة ٤٩٥ هجرية الموافقة لسنة ١١٠٢ نازل ريموند دي سانت جيل مدينة طرابلس فاتاه اهل الجبل فاعانوه على حصارهـا وكذلك اهل السواد[2] واكثرهم نصارى فقاتل من بها اشد قتال وحاصرها فلم يفتحوها اولاً ثم هجموا عليها بعد بضع سنين وملكوها عنوة وكان اهلها من اكثر اهل البلاد اموالاً وتجارة

ولما تكررت حملات الصليبيين وبلغت دولة الفرنجة شوط امتدادها سنة ١١٤٤ شملت سلطتهم ما بين العريش جنوبي فلسطين حتى خليج الاسكندرونة وجزئت الى اربع إمارات منها امارة طرابلس وكان يحدها جنوباً جسر الداخلية اي المعاملتين واميرها الكونت برترن بن صنجيل ومن سلالته الكونت دي طولوز وضرب اولئك الحكام نقوداً باسمهم ضربها اصحاب طرابلس وبيروت وصور وصيدا بالحرف الكوفي ووصف الادريسي المتوفى سنة ١١٨٧ طرابلس فقال هي مدينة عظيمة عليها سور من حجر منيع ولها رساتيق[3] واكوار[4] وضياع

(١) الربض القرى المجاورة للمدينة وما حول المدينة من قرى ومرابض
(٢) السواد معناها المال الكثير
(٣) الرساتيق هي الرزاديق معربة معناها القرى
(٤) الاكوار قطيع من البقر مفرد كور

جليلة وفيها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وانواع الفواكه وضروب الغلات الشيء الكثير والوارد اليها والصادر منها كثير والبحر يأخذها من ثلاثة اوجه وهي معقل من معاقل الشام مقصودة لضروب التجارة يُضاف اليها عدَّة حصون ومن هذه الحصون في جهة الجنوب واحدٌ بناه ابن صنجيل الافرنجي واظنه المعروف اليوم بقلعة طرابلس ومنه افتتحها وبينهما اربعة اميال وانه منيع جداً بين واديين ويقابل مدينة طرابلس اربع جزائر في صفٍ اولها مما يلي جزيرة النرجس وهي صغيرة خالية واليها جزيرة العمد ثم اليها جزيرة الراهب ثم اليها جزيرة ارذقون واظن ان هذه الجزر لم تبقَ على اصلها وما نراه اليوم جزيرة يقال لها جزيرة الفنار واليها جزيرة يقال لها جزيرة البقر والبرج المبني الى البحر الذي يقال له برج قلب الاسد فلا نخاله الا من الابراج التي بنيت بمخافر وليس لقلب الاسد دخل في بنائه وكانت طرابلس من المدن التي تعزّز العلم فيها من قبل فكان لليعاقبة مدرسة شهيرة من تلامذتها ابن العبري وله تآليف عديدة وهو مؤرخ محقق له تاريخ الدول الذي طبعه الاب انطون صالحاني اليسوعي العالم ورسالة في النفس مكتوبة بخطه كانت في مكتبتنا في غزير طبعت في مجلة المشرق ثم مدرسة للآباء اليسوعيين كما ورد في كتاب المباحث العلمية الذي عني بنشره لجنة من الادباء بهمة اسماعيل حقي متصرف لبنان قبل الاحتلال ولنا كلام

مطول في هذا التاريخ الجليل واحكام عباراته وكان المسلمون برغد ابان حكم الافرنسيين في ذلك العهد وسنة ١٨٧٨ فتح الآباء الفرنسيسكان مدرسة نفعت كثيراً العربية والافرنسية والايطاليانية ولهؤلاء الرهبان في طرابلس حتى اليوم اعمال تفيد النفوس وقد جار الاتراك ابان الحرب على ديرهم فنهبوه ولم يبقوا على شيء وشوّهوه فدخله رئيسه ولم يجد فيه سوى جدران مظلمة وكانت طرابلس منبت الاعمال الصناعية اليدوية فكان فيها نحو ٤٠٠ نول على الاصح وقيل ٤٠٠٠ للحياكة المتنوعة وكانت تجارتها وافرة ولان ارضها متسعة سميت الفيحاء ومعناها الواسعة مؤنث لافيح لقبت بها البصرة من قبل لسعة ارضها ولقبت بها الشام واليوم تلقب الشام بالغناء كما لقبت بغداد بالزوراء لان ابوابها الداخلية جعلت مزورة عن الخارجية اي مائلة وهي مؤنث الازور ومعناه من به ميل والزوراء البعيدة من الارضين كما ان الشهباء لقب لحلب مؤنث الاشهب لبياض حجارتها وقيل كان لابراهيم الخليل بقرة شهباء يحلبها فقيل لها بذلك حلب الشهباء ولنا ايضاً من مثل هذه المباحث نطرقها للافادة وعلى الله الاتكال

طرابلس اليوم

يا اخت بيروت نؤملُ رقيها حتى تشيد بذكرها البلدانُ
وتكون فاتحة النجاح لموطنٍ حسدت نهى اقوامه الاوطان

بيروت المدينة الجميلة آثينا الشرق امس، وباريزه اليوم .

ما نالته من المجد والابهة ايام الرومان لم تنله مدينة في الشرق ومجدها ايام الفينيقيين واليونان لا يكاد يوصف، وقد ذكرت التواريخ كلها عن بيروت ولم يبقَ احدٌ يجهل شأنها، تلك المدينة التي كانت وهي الان مهبط العلوم والعلماء وفيها الكتّاب والمدارس والمعاهد والتجارة والفنون عاصمة مشرقنا وافتخار امه نذكرها بشوق لا يحد ونذكر عشرين سنة مرت بنا فيها بين اصدقاء كرام في كنف الكلية الشهيرة التي هي مجد العلم ومناط الادب، كلية الاباء اليسوعيين ذلك اقرارنا يقف حاجزاً يسكت حتى الريح، اذا شاءت ان تنم على صدق مبدئنا :

جارت على تلك المدينة فواجع الليالي ودهمتها طوارئ الدهر الغدار بزلازل هائلة تكررت وكان الله يعيد مجدها، وقد رثاها الشاعر اليوناني بعد ان لعبت من قبل ادواراً هامة وان هي رقدت في مضجعها الناري فقد عادت ولبست ثوب جمالها وبهاها وظلت ترقى ولا تزال ينبغ فيها الشعراء والكتبة والصحافيون، وذكاء ساكنيها مفرط، وهي حبيبة لبنان، فتلك الطوارئ التي رزئت بها بيروت أصيبت بها سواحل سوريا ونال طرابلس حظها، فقلبت تكوينها وازالت قصورها ومعالمها ثم بعد ان جددت قوتها ولبست من ترقيها ثوباً قشيباً وظهرت بمظاهرها التي وصفناها بها بعد احتلال الفرنسيين وبقائهم فيها نحو ٧٥ سنة تميل اليهم

قلب المسلمين ويرغدون عيشاً في ظل احكامهم، والمسيحيون ينعمون بالاً وهم والمسلمون الاهلون متفقون

قدم سيف الدين ابو المعالي سابع ملوك الترك في الديار المصرية بجيوشه الى طرابلس ومعه حسام الدين بجيوشه ليفتحاها فشدَّا عليها الحصار ثمَّ دخلاها بجيوشهما المصرية والشامية فقتلوا اكثر اهلها ونهبوها ثم احرقوها سنة ١٢٨٧ بعد ان توفي «بيومند» صاحب طرابلس الذي بنى دير «بلمند» فوقها وجعله محلًّا للتنزه فدكت الى الارض

فهذه الجريمة الفظيعة التي كان يقترفها اولئك الملوك الطغاة فيجنون على العلم والتاريخ والعاديات بل على العمران هي افظع جريمة تدل على همجية ووحشية اعاد عهدها الالمان بتدميرهم ٣٥٠ مدينة وقرية في ارض فرنسا مع كنيسة «رمس» واحراقهم مكتبة «لوفين» الشهيرة. وكانت طرابلس ثلاث مدن البحصاص والرفتانية ولعل هذه «سباني» والميناء فذهبت معالم هذه المدينة الجميلة ولبست ثوب حدادها الى ان بنيت على مسافة نصف فرسخ منها في وادي الكنائس وهي هي اليوم على شكلها، بيوتها متراكمة مرصوصة، فذبل جمالها وضاقت اسواقها وبنيت دورها كل واحدة على شكل ينحصر البصر فيها ضمن اسوار ما يجاورها

اذا كنت في قوم فكن انت منهم وذُدْ عنهمُ ما تستطيع مُناضلا

وطالب بعدل ما يسوّغ حقهم فتلك فروض لا تخالها نوافلا

* * *

أرى هذه الفيحاء طار فؤادُها شعاعاً الى الرقي الذي كان حاصلا

الى عهدِ فينيقا الى المرفإ الذي بناه ُ ملوكُ الاقدمين معاقلا

* * *

على مجدها الايامُ أخنتْ تجنياً وابقت على الرسم القديم دلائلا

فان انتمُ نمتم على الوعد خُلّبا تروا الال لا جوداً يسيل جداولا

فدونكمُ تحقيق ذلك ناجزاً وجدُّكم فالجد يولي المآملا

لبنان الكبير

يرتادُ الخيال دمن المفاخر، ويقف على طلل التمدح ويحنّ الى عهود الانتساب الى امجاد الجدود الاوائل ويصبو شوقاً الى مآثر قوم سكنوا لبنان فعزّزوه وسموا به الى اعلى مراقي الفخر فنظر اليه العالم نظرة الغابط يشتاق سكناه بهواه البليل ومائه العذب الزلال وسمائه الصافية وشمسه الذهبية وقمره الفضي السابح يشق عباب الظلام المتلمس الارض فيندحر والغيوم من امام وجهه الضاحك فيلقي باشعته الى جباله الشامخة وينحني بها حتى اسفل اوديته حيث يلاعب الحصى من تحت المياه المنسابة بأبهة وجلال

جديرٌ لبنان ان يتمدح بحضارته التي انبثق نورها في سواحله منذ عهد الفينيقيين وتشعب على عهـد الرومان واليونان فعم حدوده الطبيعية، ازهر كالنخل وارزه نما في اعالي جباله ووسط سهوله وروته نعمُ الله لان يدهُ غرستها واتخذت الطير في بطون شجر الارز وكناتها وبسق سروه وارتفع بمفـاخر من يظللهم فناطح اطباق الفلا وعبقت روائح ازهار غرساته ومدّ السوسن عروقـه في نواحيه وانتشرت فروعـه وفتنت سماؤه القلوب واستنشق الكون طيب ريا عرف غرسات حقله فاستظل المردة ظل زيتونه وحيّت رومةُ ابناءه بإبائهم واخضل كرمه وطابت خموره فثملت الزُهرة بروائحها المسكية ووالت اثينا فلسفـة فطرته وجرت انهاره من حول مغارس شجره الملتفة .فامتدت فروعها من كثرة المياه وفي ظلها سكنت جميع الامم

ترنم الانبياء بلبنان وحيوه وقال العالم عنه ارضك مقدسة وساكنوك ابرار

انقضت العصور وتقلبت الاحوال ولبنان شامخ بانفـه لا يخضع للجور والظلم يأبى على الفاتحين ان يدخلوا مرابضه وهذه خبوت اوديته وجباله التي هي من امنع الاسوار حمت قاطنيه فعزّ وارتفع وقد عاش غير خائن بل ابيّاً واعطاه الله نعماً تفرد بها وناله المجد والعز بالجراجمـة الذين نظر اليهم الكون باهتاً حائرًا وحفظ لهم التاريخ اجمل اثر : ناله ابن عثمان استقلالـه

ولعبت بعناصره ايدي الفتن فالقت الاضغان بين امتين هما اليوم على اتم وئام وكانت السنة الستون واحدثت ايدي الانتقام ما احدثت على حين غرة ثم حاز نظامه المخوّله تعزيز حق الاستقلال واجتاحت الحرب العامة العالم وحاقه من الشوءم والويلات ما حاقه واوشكت ارضه ان تضيق بجثث من اماتهم الظلم وضحت بهم الوشايات فتبرأ الجدود من بعض ابناء من دسوا الدسائس وعملوا على الفتك رغبة بوظيفة وصاحت تربته واستغاثت الرب وقال الارز لمادحيه ايها الانبياء كادت اشجاري تذوى وتذبل، وتطلع لبنان نحو فرنسا التي اشغلها عنا من وراء البحار ظروف عرفناها ويأتي يوم نبوح بها فهتفت ارواح من رقدوا بفرنسا وهتفنا بها هتافاً خرق مسافات البحار فجاءت وهبّ لبنان من اقصاه الى اقصاه ينشد استقلاله بحدوده الطبيعيـة وحن شوقاً الى مجد جدوده وسار شيخه العلامة ومندوبه الامين يقطع البحار وسيرت الرسائل والبرقيات تترى وقال لبنان قوله الفصل وذكر الفرنسيس الروابط القديمة التي دونتها كل التواريخ بين الوطنين وها ان الحق عاد الى نصابه وبشر الله لبنان ان فرنسا الظافرة الحبيبة اعلنت او كادت استقلاله بحدوده الطبيعية وارجاع الارضين المسلوبة منه عسفاً وعدواناً اليه فلاح الحق واشرق النور وساد العدل وسيعود لبنان الى اعظم مما كان عليه وتسر سوريا به لانه قلبها وعشيقها فنحيا بالالفة والرقي في كنف الله تعالى وعدل فرنسا

ايتها الارزة

ايتها الارزة التي غرستك في مشارق لبنان وسفوح جباله وسهوله يد العناية نموت وبت على طوراق الدهر راسية متهدلة اغصانك مخضلة اوراقك لا يعشعش في اصلك العث ولا يداخلك الفساد، بك تغزّل الانبياء وكان نشيدك كنشيد الاناشيد، فانت رمز الطهارة واية العفاف وعربون الثبات وسفر القوة الازلية تهزاين بالرياح ولا تكترثين لتقلبات الجو انت عادية ولا كالعاديات فتلك من بقايا آثار البشر وانت من اثر المقدرة الالهية، زينت هيكل سليمان وايوان كسرى وأمك الاثريون وتشبب بك الشعراء واستظلك « لامرتين » وقصدك الملوك فاذ نظروا اليك خفضوا الابصار وشعرت قلوبهم بخشوع وكانت قدرة الله بافلاكه وعنايته مستقرة فيك، كان رسمك راية اللبنانيين الاقدمين ثم طوته يد الظلم ولم يزل مصوراً في قلب اللبناني الصادق تنطبع صورته في قلب الابن مأخوذ رسمها بآلة الطبيعة عن رسمك المستقر في قلب الاب . كنت فخر اللبناني بالامس واليوم ضمك الى قلبه العلم المثلث الالوان واعداً ابناء لبنان الكبير بان ينيلهم استقلالهم اذا اصبحو جديرين بهذا الاستقلال المنشود

نحييك ايها العلم اللبناني فابقَ بقاء الارز ثابتاً واخفق على احدابنا مؤيداً

عراقيل نجاحنا

نحن الان واقفون نلتفت الى الوراء فنبكي على فقدنا الرفاهية في المعيشة وتوفر الاقوات والكسى وسهولة الاسفار والتذرع براحة الفكر والتمتع بالثروة والغنى ثم نقف على تلك الاطلال ننتحب وقد درست بالحرب معالم اليسر ومحيت آثار الهناء فزاد بنا النحيب ونظرنا الى الاحتلال فانتعشت قلوبنا ورقصت طربا اذ بلغنا امانيا بمرأى الحبيبة التي فتنت لبنان وسلبت فوءادنا وحيرت افكارنا وبتنا بين محب وعاشق ومولع وصب وهائم وقلنا تم البشر وكمل بدر الرخاء انما الدهر ابى علينا ان نرتع في بحبوحة الرغد فبقيت احوال التجارة واقفة والزراعة راقدة في مهدها ولا شيء يوقظ ما تعوده ابناوءها من اعمالهم الفطرية ثم طرأ على التجارة ما زعزع اركان اعظم التجار وتداعت بنايات ثروتهم الى الهبوط الفجائي وعم السقوط العالم باسره فنظر اللبناني فرأى ارضه لا تنبت ويده لا تعمل وساعده ربط الى عمود فوقف باهتاً حائرًا ونظر الى عضده في المهجر فابصره ساكتاً واجماً فلا يمكنه بعد ما عرا التجارة من التغير والانتقال ان يعينه فالبريد الذي كان يحمل اليه سفاتج لا تحصى ولا تعد يتقاضاها فيعيش برغد ولا يهتم بارضه انبتت ام اثمرت ام محلت لان المادة عنده وافرة والاموال ترده فوق

حاجته وما عنّ على الفكر النظر في ميزانية البلاد والى المرتبات التي يتقاضاها المتوظفون والى كثرة الوظائف وتنوعها فكان سيان عنده نجاح البلاد او تأخرها وهو ناعم راغد حتى اذا سدت عليه الموارد افتقد ارضه فاذا هي ماحلة ومخزنه فاذا هو فارغ فشكا

والى من نرفع الشكوى يجب ان نرفعها الى من نيط بهم امرنا

التاجر الذي هو عماد البلاد ودعامتها هوى من علُ وبقي واقفاً ولكنه اصيب فلا يمكنه السعي ولماذا ...

بعراقيل التجارة ومن جملتها المكوس وشرائطها : اراد اربابها ان يخترعوا فاضروا ..

لماذا لا تبقي على السنن القديمة فكانت لنا بها راحة في معاملة المكوس تجارتنا لماذا لا يستوفى ما على الاقوات والكسى في المكوس حسب اللوائح وتثمينها فيها . ابطلوا اللوائح وثمنوا فاطاع التاجر فثمنوا ايام كانت الاسعار مرتفعة اما وقد هبطت فكيف يجوز استيفاء أجر المكوس على ذلك التثمين القديم فرجا منهم ان يستوفوا عيناً فأبوا عليه فلماذا ..

حيث المرء ميالٌ بفطرته الى الاستقلال برأيه وعدم المبالاة بالرجوع الى الصواب عند الخطإ وان ما يهوّن على الذين تعودوا الامر والاستمساك به في هذه البلاد معرفتهم انا الفنا الخضوع ولم نتعلم الرفض وان كان مقتضى الحال يدعو اليه ..

نحن خائفون كثيراً من الحالة التي تتهدد ثروة البلاد الحيوية زانا نهتم في تقسيم الاقضية وتوزيع الوظائف ولا نهتم في شأن الزراعة التي يجب ان نتأكد انها هي حياة فرنسا الاقتصادية . الادوات مفقودة والبقر ندرت والارض اصبحت سباخاً ونود ان نحيا فلا حياة لنا الا بالزراعة فصاحب المرتب يتقاضى مرتبه ولكن العامة تنظر بوجل الى ما يتهدد تاخر البلاد اذا ظلت الزراعة في شيخوختها ولم تجدد شبابها . الارض اصبحت لنا وعادت السهول الى لبنان والسواحل ضمت اليه فيجب ان تستقل تجارتنا وتتعزز وتتقوى زراعتنا ونعضد لنسير في مسالك الارتقاء المالي فكل عمل اساسه المال

ثم انه يجبُ النظر في ميزانيات البلاد وتعديل الداخل والخارج فنكون في مأمن من كل طارىء . . .

لنا ميل الى الحياة بالرغد والرفاهية فقد سئمت انفسنا الاستبداد بنا : وصلنا الى ان نرى المساواة تجاه الاحكام فلم يبقَ تمييز وتعود الحقوق الى نصابها ولكن حالتنا الزراعية سيئة وكذلك التجارة في كساد ونحن نعلم ان التجار هم دعامة ثروة البلاد فيجب ان تسهل لهم الطرق للسير في خدمة البلاد . . .

اسباب التهتك

الفطرة البشرية ميالة بطبيعتها الى اللهو والمزاح والتلذذ بما تنفر منه الآداب النفسية ويقاومه العقل وتتسلط على كبحه الارادة

ان المسرة لها ضروب . واوقات الفراغ تقضى بين مسرة حميدة او قبيحة والعقل يجد لـذة فائقة في ما يصوره الادب ويهذب الخلق

وقـد كان من المخجل ان ينظر بعض ابنائنا الى القبيح ولا ينكروه وان يسمعوا البذيء ولا ينفروا منه ويلمسوا الكريه ولا يتعدوا فغدا من المألوف الاقسام بالله في الاسواق والشوارع والمنازل والدور وسبه نستغفره عز وجل والاستطالة عليه فيا للعار ! !

غدا اكثر الشبان يفخرون ان تكون في ايديهم الكتب التي تقتل العقل والشرف وتعوّد العهر

اصبح يستحـل بعض الآباء تعليق الصور التهتكية في دورهم وابهائهم وجرت عادة مألوفة المقامرة في البيوت والقرى الشريفة التي كانت حصناً وسوراً للآداب الحقيقية وبات التساهل فيها بادخال العادات السيئة

ووجد التساهل ان تسير الفتاة ليلاً الى جانب الفتى في الطرق، في المدن والقرى، في السهل والوعر وقد حلّل كل هذا العادة العصرية فبئس العادة . . .

ومن المستغرب ان يدخل الزوجان مسرحاً تمثل فيه : رواية عهر ومفاسد وكلاهما آمن ان لا يسري الفساد الى القلبين

واغرب منه ان ينظر الرجل الى قرينته عائدة بعد منتصف الليل وهو في سريره وتقول له انها كانت الى طاولة المقامرة فيضحك ويسر ! . .

ومما تنفر منه المدنية تلك الكتب الخلاعية التي تقبلها مكوس البلاد ومكاتب البلاد وغرف قراءة البلاد

واقتل منها للنفس تلك الصور التي توجد في مكاتب البلاد وتتحرك في مسارحها فيقرأ الاولى الشاب والشابة وينظر الجميع الى الثانية ولا يذكران رسوخ معتقد جدودنا وآدابنا الحية الحقيقية

ومن العجب الذي لا يحد اننا اصبحنا في حالة من الجبن لا تنطق العقلاء على مقاومة الشر الحاصل بالنصح والوعيد وان الحكومة ساكتة عن تلك المسارح وعن تلك الكتب - التي بلغنا اليوم انها ستناهضها وحسناً ما تفعل - وانها راضية عن محال المقامرة

وقد اصبحت المصايف ضرراً على المصطافين وعلى سكانها

لان ابتزاز المال على الطاولات متواصل بل اراقة الدماء فيربح ذلك الشرير الاثيم الذي يرزق المال عفواً لسعادة لا يجدها لانا لا نجد احكام الله

يشكو الاباء والامهات من وفرة اجور المدارس واذا قلنا لهم اصبتم فلماذا لا يشكون من الاسراف والتبذير وما ينفقون على طاولات القمار

ولا نقول ان كل اب وكل ام يقامران بل الذين يفعلون .

فلماذا هم غافلون ؟ أليسوا هم من سلالة الفضيلة القديمة ؟

ليتنا بقينا على عيشتنا الحرة وانفسنا حية بالله من ان نتعوّد هذه المدنية الموهومة فقد فسدت عوائدنا فلا نخشى الله وكل ما يجري في الكون من الرزايا فهو القصاص ولا يد بشرية تقوى على معارضته

نهاية وبداية

تمرُّ بنا الايام مرَّ جهامةٍ ويضحكنا هل الهلال فنطربُ
وقد علم الانسان ان مرورها يقرّب امساء الحياة فتغربُ

كل نهاية مرتبة على البداية . وكل ما في هذا الكون مصيره الى نهاية وهي منوعة قريبة وبعيدة وابدية والزمان الذي تؤلفه الثواني فالدقائق وهلمَّ جرى فيتكون العصر ومنه

العصور .يدول الى ان تكون نهاية يتأتى عنها ابدية لا فناء لها.
وما لا نهاية له هو الذي لا بداية له وهو العلة الاولية

ومن الثابت الراجح ان البداية الحسنة مرتبة على النهاية الحسنة وعلى هذا الرأي نتفاءلُ بان تكون نهاية اعوام جريدتنا على ما يتوخاه لنا مريدونا رافلةً بمواهب ونتائج حسنة يحمدها الينا ابناء وطننا العزيز

وعلى هذا القياس المنطقي تتأتى لنا النتائج الشريفة محسوسة ملموسة لا نخشى خلفاً لها اللهم الا ان يكون لنا في الغد من البواعث الخارقة التي نجهلها لان الغد سرٌ من اسرار الله تقصر عن ادراكه عقول فلاسفة العالم

كانت الامور ولا تزال مرهونة عند اوقاتها وربَّ عمل تسمو اليه المخيلة ويرغب في اتيانه العقل فتعجزها الوسائل فيظل محجوباً وراء استرة التقادير الى ان تكون ساعة فكِ قيد ذلك الرهن فتتيسر الوسائط فيتم الامر على حين يكون الانسان على وشك اليأس من الحصول عليه

نشأ في العقل انشاء جريدة في هذه الفيحاء بعد ان تأكدنا ان بيننا وبين المدينة التي لا نزال نحن اليها مسافة شاسعة تبعدها البواعث التي اوجدتنا في الفيحاء وكانت نشأة تلك الفكرة منذ ساعة انقشاع عثير الحرب الكونية وتوطيد السلم في هذه الربوع . الا انا رأينا لا سبيل الى تحقيق الرغبة لما هنالك

من الصعوبات العديدة التي لم يكن في وسعنا ان نمهدها . وقد اخذنا نحسب ذلك الفكر ضرباً من الاحلام لا سبيل الى تحقيقه الى ان تحقق لنا ان الامور مرهونة عند اوقاتها باتفاق اجتماعنا بمحرر الرقيب الذي كان حنينه الى مواصلة ما هام به في المهجر سنيناً طوالاً في خدمة الصحافة والبقاء في حيزها وظل الامر ايضاً صعباً مناله حتى تحققت فكرتنا

وما كاد ينتشر الرقيب حتى استأنس به كثير من ابناء الفيحاء وسائر الاقطار اللبنانية وتفاءلوا به خيراً . وظلّ الرقيب على حالته ونحن نرغب في نموه ونبوغه شأن العاقل ونتحفظ قبل التهور والاسراف في البذخ قبل مرآنا ان الوقت آن

كبر حجم الرقيب ودخل في طور نبوغه وزادت ثقة الناس به واتصل الى نهاية العام الاول موفقاً

وهنا نسمع صدى حذلقة اراجيف بعض من عذلونا

فقال البعض ان الرقيب لا يحيا . فقد حيي

وانه لا يجتاز ثلاثة اشهر وقد اجتاز اثني عشر شهراً

وانها طائفية على حين انها واحدة للكل ومستند هؤلاء على مدافعتنا عن حقوق اقليتنا ومطالبتنا بحقوق اكثريتنا . فكأنهم ارادوا ان يخرجونا عن قوميتنا ويصيروا منا من يعق اباه ومن لا يبر بامه . فليت شعري أعميت بصائرهم عن وقوفنا غير مرة مدافعين عن كل حق مهضوم منادين بالاخاء والمساواة

فنحن ابناء وطنية واحدة ننظر الى الكل اخوة وانتصارنا للمظلوم ليس الأ . وابى الله ان نسكت عن حق شرعي لنا واذا كان الحق في جانبنا فليقل الناس ما يقولون . .

وانها اكليريكية ويريدون ان يظهروا ان اكثر مشتركينا من الاكليريكيين على ان لنا منهم ما لا يزيد عن العشرين . فاحتفاظنا بقدر رجال الفضل ليس لمجرد نفعنا بل لانا نجل الفضل ورجاله من اي طبقة كانوا

وقالوا انها دينية . وحبذا القول فنحن لا نود ان نكون من اللادينيين ولا نود ان ندلع السنتنا فنم على ما هو مقدس

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا . . .

وقالوا انها في جانب الحكومة . فليت شعري هل يودون ان نسيء الظن بمن احببناهم ونخالف مبدأنا . ومقصدنا ان نتصل الى حقوقنا بالتادب فنحن نجل الحكومة ورجالها وندافع عنها بل ندافع عن حقوقنا ونطالب بلطف وادب فننال ما نرمي اليه ولا نود ان نكون سفهاء

فهل قصرنا في مسألة الديون ؟

ام في مسألة البيوع ؟

ام في المسائل الحيوية الوطنية اللبنانية كمطالبتنا بالطرق والمدارس وزراعة التبغ والغاء الريجي واظهارنا استياءنا في ابقاء الديون العمومية ومناضلتنا الضرائب فالاعشار ؟

ومن كتب سوانا عن حالة اعشار عكار ؟ وهل بالينا بما يتأتى من هذا الدفاع ؟ . . .

وامس مسألة الايجارات . أوقفنا عندها باهتين حائرين ؟

اجل . نحن نفتخر بما احرزناه من ثقة علية القوم ولا نعتد برضى المتعنت ويكفينا اننا لم نجرح عاطفة مجموع ولا اسأنا الى طائفة ولا دنسنا اقلامنا بطرقنا مواضيع يندى لها الجبين خجلًا . فلا المال يستهوينا بل رغبتنا في خدمة الوطن

واخيرًا فلا يسوغ لبني قومنا ان يستعتبونا بكلمة تسقط سهوًا او تركنا لقباً رغبة في الاختصار والايجاز او عملًا بمقالتنا في الالقاب المنشورة في الجزء الثاني من الزهرات فالالقاب العلمية لا يجوز التوسع بها

والى ابناء الوطن العزيز في سوريا ولبنان والمهجر نزف عددنا الممتاز مفتتحين فيه عاماً جديداً سائلينه تعالى ان تكون بدايتنا حسنة ونهايتنا حسنة ان شاء . والسلام

سياحة الرقيب

في عامه المنصرم

على اليُمن قد سار الرقيب موفقا … وغرّب في عرض البلاد وشرّقا
حلفنا له بالجد قبل رحيله … فلا الجِد اضناه ولا الجَد اخفقا
ترامت له عند الرحيل كوارث … واهونها قد كان صعباً ومتقى
ففي كل شوط غير مهوًى ومصعد … وغير كؤود خالهنّ معوقا
فشافهها شكوى العتاب بغدرها … فردّدن ما يحكي العذول تملقا
على ان هاتيك البواعث لم تكن … لتثني عزماً كان بالجد مرفقا
فسار ونور الحق يهدي سبيله … فألفى باعيان البلاد ترفقا
ومال اليه القوم والتف حوله … فجاذبهم طرف الحديث واصدقا
فعز على الحساد سرعة نجحه … وطاب لهم الا يكون توفقا
ففي ذمة الاقدام حطم كيدهم … وصعد في فرع النجاح فحلقا
أغذّ وعز العزم خطة سيره … وما قال زورا او حديثاً ملفقا
وما ازعج النوام قط مروره … عليهم وفي سمر الهجوع تأنقا
وهاديه اذ ارخى الظلام سدوله … أصالة رأي من عزالى تدفقا
مشى مشية الوافي حقوق بلاده … أبيًا عزيز النفس جذلان مؤنقا
فلم يكترث للقال والقيل ساخراً … بتصخيب ضليل اراجيف لفقا
فقد خاض في بحر البحاث ولم يخف … تآويل مغرور يود تحذلقا
وما ضاق ذرعاً عن اجابة غالط … وعن رد كيد والمخاصم ما اتقى
وما خضد التهديد شوكة عزمه … ولا رغب في الاموال مبداه اوثقا

فوفى عهود الذاكرين ولآءه — وأشأم معلي المقام واعرقا
وآنس من « اميل » اقوى مساعد — ومن « جان » عوناً بالثبات موثقا
و « الياس » لم يبرح يمير كلامه — بياناً هو السحر الحلال ترقرقا
فأسس « اميل » الرقيب بما له — وجدت بوقتي كي يطول ويشهقا
فلو كانت الادواء صدت عزيمتي — وهددني سقمي وغل وضيقا
ولو بت في دائي اليف مخادعي — أسامرُ ما القاه ولهان مقلقا
ولم اخدم الطلاب عشرين حجة — بجد غريب لا ارى منه مخفقا
ولم ادفع الضيم المحيط بغيرتي — مقاوي بونهي مرغم الدهر مرهقا
وما هابني ضعفي بتعزيز همتي — وبت عليه باسم الثغر شيقا
وخوفني الموت الذي بات كارهاً — سواي وان شمل الاحبة فرقا
لداخلني ريب وداخل معشري — توهم احباط الرقيب اذا ارتقى
فعكار لا تنسى الرقيب مناضلا — عن النصف اذ قاوى وارغى وابرقا
ويذكر بعض اللاذقية ذوده — وقد حارب الجور المضيم فارهقا
هي الخطة المثلى التي خط نهجها — وعزز مبداها فضاء واشرقا
اقام على الاخبار يسبر غورها — وينشر منها ما يراه مصدقا
قضى عامه باليمن غير مقصر — وما حاد عن مبدا الوئام ففرقا
فهامت به الفيحاء افوح عابقا — وافيح احكام البيان تعشقا
ولبنان اولاه المودة والولا — ووافى حميماً حب لبنان شوقا
كذا قد سرى في ذي البلاد معززاً — يباحث في كل الامور مدققا
ويخبر احوال السياسة كلها — ويرسل طرفاً في البلاد محققا

كلمة الختام

الى استاذنا

عربون حب ووفاء وذكر جميل

اننا ننأى عنـك ونستودعك قلوباً ملؤها الحب والوفاء فاذكرنا ولا ينسك الفراق تلامـذة بذلوا كل ما في وسعهم لاتمام رغباتك الصادقة

عرفناك تحب العمل فعكفنا عليه بجد . وتميل الى حرية الفكر فلم نكتمك سريرة : سبرنا غور فؤادك فالفيناه طاهراً يوالي الوفاء فعشقناه ورأيناك تساء بعدم اتمام الفروض فلم نسئك فوجدت الراحة

ثم آلينا على انفسنا ان تكون هديتنا ثابتة تنمو وتذكو فاهدينا اليك شواعرنا زهرة نضرة يحكي عرفها ريّا زهراتك فاقبلها هدية تطرّب جنانك وانا لنذكرك ما حيينا اينما كنا

تلامذتك

طرابلس سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ فئة الخطابة

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٤	المخصص للغته	المخصص بلغته
١١	٢	تبغى	تبغي
١٤	١٩	يسؤني	يسوؤني
٢٩	٥	حقوق عليها (كذا)	وعليها : التقدير وعليها حقوق
٢٩	١٣	به بغيرنا	به غيرنا
٣١	١٩	هبث	هُبلت
٣٢	٣	اهلاً بانسة	لانسة
٣٢	١٠	تنعي	تنعى
٣٣	٩	ولنجر	ولنجرِ
٣٣	١٠	الجديرة	الجريدة
٣٥	١٥	صادر	صادرا
٣٦	٨	يزيد	يزيدان
٤٨	١٦	فوصلت اعلاها	الى اعلاها
٥٥	١٣	عين بقرا	بقاع كفرا
٦٢	١٨	طيباً أبُ (كذا)	طيباً اذا
٦٣	٦	فالاُ (كذا)	فالأفقُ
٦٣	١٧	اجبت (كذا)	احببت
٦٥	١٢	حيِ	حيٍ
٦٥	٢٠	قلتم	قلتُ
٧٥	١	جرما	جرمٌ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠	١٤	١٨٩٤	١٨٩٢
٨٤	١٧	يشكو	ليشكوا
٨٤	٢٠	يرجوا	يرجو
٨٧	٦	يبدُ	يبدُ
٨٧	١٦	يذري	يزري
٨٧	٢٤	اكاذيبا	اكاذيباً
٩٢	١	نتمم ذي	نتم بذي
٩٢	١٠	نبلى	نبلي
٩٣	٥	والاسى	للاسى
٩٨	٦	أن الشفيق	إن الشقيق
٩٨	١١	سينقطنا	سينقذنا
١٠١	١٨	تجمُّع	تجمَّع
١٠٤	١٦	قيدت	أيدت
١٠٦	١٥	تلفَ	تلفِ
١٠٦	٢٣	المبتهلُ	المبتهل
١٠٨	٧	عما	حيث
١١٧	١٠	لافيح	الافيح
١١٨	٢٠	٧٥	١٧٥
١٢٤	٧	امانيا	امانينا
١٢٥	١١	تبقي	تبقى



الكتب المدرسية

تطلب من ادارة مجلة المسرة في حريصا جونية (لبنان)

		سنتيم	فرنك
نجعة الرائد جزءان	كل جزء		١٠
» » مجلد واحد يحوي الجزءين معاً			٢٥
ذخيرة الاصغرين			٥
مغالط الكتّاب		٥٠	٣
كراس الف باء	المئة		٢٠
مختصر التعليم المسيحي	»		٣٦

الروايات

		سنتيم	فرنك
رواية حسناء بيروت		٥٠	٣
رواية البطل الصنديد			٣
رواية قاتل اخيه	(تمثيلية)		٤
رواية سجين القصر	»		٥
في ظل راية الارز	»		٥
رواية ابو مسلم الخرساني	»		٥
نزهة الافكار		٨٠	٠

اسماء

الادباء الذين طُبع على نفقتهم هذا الجزء من «الزهرات»
مرتبة اسماؤهم حسب الحروف الهجائية
مع حفظ الألقاب

احمد الاحدب . انيس روفائيل . بولس ديبه . توفيق
فارس . زاهي عرنوق . عيسى عرنوق . لطف الله عرنوق .
مدحت منصور . نسيم اسحق . يوسف فضول . يوسف باخوس

